اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٦٧٨]

رئيس التحرير: رجب البنا

مدير التحرير:
كريمة متولى

تصميم الغلاف:
عاطف عبد الغنى

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

إعداد: دكتور محمد نعمان جلال

الصين بعيون مصرية

بقلم: نخبة من كبار الكتاب

دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

نبذة عن المشاركين فى الكتاب

«ترتيب أبجدى»

- **أنور عبد الملك** : أستاذ متخصص فى فلسفة الحضارة - رئيس سابق لجامعة الأمم المتحدة فى طوكيو - له العديد من المؤلفات والمقالات عن السياسة الدولية ومنها عدة مقالات عن دور الصين.
- **رجب البنا** : رئيس مجلس إدارة دار المعارف ورئيس تحرير مجلة أكتوبر - كاتب صحفى أصدر العديد من الكتب والمؤلفات التى فازت بجوائز عديدة. زار الصين فى سبتمبر ٢٠٠١ وأصدر كتابا عن تلك الزيارة.
- **سيد أمين شلبى**: سفير سابق - المدير التنفيذى للمجلس المصرى للشئون الخارجية له عدة مؤلفات عن السياسة والعلاقات ومقالات عدة فى الصحف والمجلات المتخصصة.
- **شوقى جلال** : كاتب ومترجم وعضو المجلس الأعلى للثقافة- ألف وترجم عدة كتب عن الصين وزارها عدة مرات.

- **محمد إبراهيم شاكر:** رئيس المجلس المصرى للشئون الخارجية- سفير سابق - متخصص فى قضايا السياسة الدولية وبخاصة قضايا نزع السلاح. زار الصين فى سبتمبر ٢٠٠١ على رأس وفد من المجلس المصرى للشئون الخارجية
- **محمد سيد أحمد:** كاتب سياسى ومفكر فى القضايا الدولية والعربية - زار الصين ضمن وفد المجلس المصرى للشئون الخارجية.
- **محمد نعمان جلال:** سفير سابق فى الصين - له عدة كتب ومؤلفات فى قضايا سياسية متعددة.

تقديم

«الصين بعيون مصرية» هذا العنوان يعبر عن حقيقتين. إنه يعبر عن حالة فريدة فى التفاعل بين حضارتين عملاقتين تواجهان نفس الأزمة والتحدى. إن مصر والصين تنتميان إلى مجموعة محدودة من الدول التى يمكن أن نطلق عليها دول «نادى الحضارات العريقة» هذا النادى يضم قلة قد لا تزيد فى العدد عن أصابع اليد الواحدة إلا أن معظم أعضاء هذا النادى المتميز لا تتوافر بينهم الصفات والسمات المشتركة بين أبناء مصر والصين. فكل من الدولتين احتفظت باسمها عبر التاريخ الحضارى الطويل، وكل من الدولتين تَقِفُ آثارها، حتى يومنا هذا، عملاقة تؤكد، فى شهادة حق واضحة بلا لبس، عظمة هذه الحضارة فليس هناك آثار مثل أهرامات الجيزة، ولا سور الصين العظيم تتمتع بالاستمرارية والمكانة العالمية، كما أن العادات والتقاليد فى كل من مصر القديمة متشابهة مع كثير من العادات والتقاليد فى مصر الحديثة ونفس الشىء تجده فى الصين. أما التحدى الذى تواجهه هاتين الحضارتين فهو التطلع للبحث عن دور ديناميكى فى القرن الحادى والعشرين بعد أن عبر المجتمعان المصرى والصينى مرحلة معاناة، طالت بعض الشىء فى العصر الحديث، فى مواجهة الافتئات على سيادتهما والانتقاص من مكانتهما من بعض الدول

الغربية أو ذات التوجه الغربى فى الميـول والثقافـة سـواء مـن بعـض دول الجوار القريب أو البعيد. ومع هذا فقـد نجحـت كـل مـن مصـر والصين فى بناء نموذج متوازن، فى معظـم الحـالات مـع اسـتثناءات فى مراحل محدودة مـن تاريخـها الحديـث، حيـث ظـهرت الثـورة الثقافية البروليتارية الكبرى عاتية فى الصين فى منتصف السـتينات وحتى منتصف السبعينات من لقـرن العشـرين. كمـا ظـهرت عمليـة تصفية الإقطاع عنيفة لفترة ما فى مصر فى منتصف الستينات. ولكن سرعان ما جاءت هزيـة أو نكسـة ١٩٦٧ لتضـع لهـا نهايـة سـريعة حتى يتفرغ لمجتمع لمواجهة آثـار النكسـة المروعـة. وكـان التحـدى الثقافى يمثـل ركنـا رئيسـيا مـن أركـان التحـدى الشـامل ومـن هنـا انطلقت كل من مصر والصين فى أواخر السبعينات من القرن المـاضى لبناء حضارة جديدة تتوم على الانفتاح الاقتصادى الأوسـع والانفتـاح السياسى المتنامى، وحققـت مصـر طفـرة واضحـة فـى حـين حققـت الصين طفرات. ومن هنا ظهر الإعجاب والانبهار من كل مصـرى زار الصين أو اقترب من التعرف على تجربتها، وظهرت الدعوة القديمـة «اطلبوا العلم ولو فى الصين» فى إطار جديـد «فلنتعلـم مـن التجربـة الصينية» والتعلم من أية تجربة يعنى دراسـة إيجابياتـها وسـلبياتها والأخذ بما يلائم مجتمعنا منها، فهو لا يعنى نقل التجربـة حرفيـا. أو بصورة كاملة. ولكنه يعنى الاستفادة مـن عنـاصر قوتـها وأسـباب نجاحها وتجنب نقاط ضعفها ومثالبها. ولقد أثار معـى هـذا الموضـوع

عدد من المفكرين الصينيين وفى مقدمتهم البروفسور جووليه، المستعرب المشهور باسم عبد الجبار، وهو من أكثر المحبين لمصر والمعجبين بحضارتها العريقة وبالحضارة العربية بوجه عام، وترجم العديد من الروايات والكتب المصرية لمشاهير الأدباء والسياسيين أمثال محمد حسين هيكل، طه حسين، توفيق الحكيم وآخر تراجمه كتاب «الوطنية فى عالم بلا هوية» للدكتور حسين كامل بهاء الدين، كما ألف البروفسور عبد الجبار عدة مراجع قيمة عن مصر بل وموضوعات عربية، وكان له فضل اقتراح عنوان هذا الكتاب، وأن يكون هناك كتابان أحدهما (الصين بعيون مصرية) والثانى (مصر بعيون صينية)، وهذا يتمشى تماما مع الفكر والمنطق الذى أدعو إليه دائما، بأن الدبلوماسى مبعوث حضارة لدى حضارة أخرى، وكان عنوان هذين المؤلفين المقترحين من حصيلة مناقشات جرت مع البروفسور جووليه ومعى فى فترة عملى سفيرًا لمصر فى الصين، ومع الأستاذ شوقى جلال الكاتب والمترجم المشهور، ومع المستشار الإعلامى المصرى النشط فى الصين حامد صقر. وعندما زار الأستاذ رجب البنا الصين وعاد منبهرًا بما شاهد ونشر عدة مقالات حولها، عرضت عليه فكرة الكتاب فوافق عليها بلا تردد، باعتبارها مساهمة قيمة تعبر عن عمل فكرى ثقافى مشترك من ناحية، وتنمى روح العمل الجماعى بين الكتاب والمفكرين من ناحية ثانية، وتقدم الصورة بعيون متنوعة من زوايا متعددة من ناحية ثالثة، ومن ثم تتيح

للقارئ أن ينهل من هذا الرحيق الفكرى ما يشاء ويستخلص من التجربة ما يريد، ويترك لفكره أن يستنتج ما يراه ملائما للموقف أو المشكلة التى يواجهها. ولذلك فإن «الصين بعيون مصرية» تضم **نخبة من مقالات سبق نشرها من المساهمين فى هذا السفر الهام** عبر مراحل زمنية مختلفة ولكن يجمعها رباط فكرى وثيق وتأمل نظرى متعمق حول هذه التجربة نقدمها للقارئ المصرى ليرتشف ما يشاء له الارتشاف من محتواها، أو بعضا من فيوضاتها.

والله نسأل التوفيق.

المحرر

محمد نعمان جلال

سفير مصر السابق فى الصين

دكتور أنور عبد الملك

□ عالم جديد

الصين فى مرآة أمريكا

(١)

طلعتنا اليوم إلى عالم المحيط الأكبر، المحيط الهادى، فيما يبدو بعيدا عن دائرة الشرق الأوسط الملتهبة. أو هكذا يبدو لأول وهلة. ما العلاقة بين الاختناق هنا والتأجج هنا؟

كان من المنتظر أن تكون الطلعة الأولى لوزير خارجية الولايات المتحدة الجديد كولين باول إلى آسيا، بدءا من نظرة المحللين إلى سياسة بلاده الجديدة وانتقالها من دائرة العالم القديم، مرتع السياسات الأطلنطية التقليدية، إلى آسيا وعلى وجه التخصيص آسيا الشرقية. ولكنه اختار أن يأتينا فى زيارة تنقيبية ليتعرف على زعماء المنطقة، وكان الذى دفع بوزير الخارجية إلى دائرتنا إنما هو ضغط دوائر المال والإعلام الأمريكى الصهيونى بحيث اضطرت القيادة الأمريكية الجديدة إلى التوغل فى دائرتنا دونما استعداد. بدأ الهجوم على التوجه الجديد بهجوم على وزير الخارجية واتهامه بأنه قد تستر على العراق كذا أثناء الحرب المأساوية الكبرى ضد القطر الشقيق وذلك باسم الواقعية. ثم انتقلت بعد ذلك إلى انتقاد استعداده لمتابعة ما حققته إدارة كلينتون مع كوريا الشمالية بغية التخفيف من حدة التوتر معها وإيجاد حل معقول فى شمال شرق آسيا، وفوق هذا وذلك إعلان المواجهة ضد الصين.

ما الذى يربط بين الجبهتين؟ وما هى السياسة الخارجية الأمريكية؟ ما هى محاور التحرر الحقيقية؟ وقبل هذا وذاك ما هى الرؤية؟ وما هى الأهداف؟

هذا المجال مجال السياسة الخارجية الأمريكية الجديدة مطروق من زوايا مختلفة على أيدى طلائع المحللين فى العالم. وقد أجمعوا أو كادوا على أن الهدف الواضح المعلن هو تحقيق هيمنة أمريكية جديدة على العالم أجمع وفى هذا ما يذكرنا بسطور كاشفة كتبها مارتين ووكر فى جريدة السياسة الدولية النيويوركية فى يونيو ١٩٩٦: إن الولايات المتحدة تمارس هيمنة عسكرية كاملة بمبلغ ٢٥٠ بليون دولار فى السنة. وهى هيمنة تجمع بين امتداد الهيمنة البريطانية عبر المحيطات والقوى العسكرية للإمبراطورية الرومانية فى أوج قواتهما. وهو الأمر الذى يكلف أمريكا أقل من ٤٪ من ناتجها القومى وهو أقل نصيب لوزارة الدفاع الأمريكية منذ ١٩٤٠. إن الاقتصاد الكوكبى يعمل لصالح أمريكا، أمريكا التى أصبحت أكبر المصدرين بحيث أن القوة العسكرية الأمريكية تبدو وكأنها أبعد ما تكون عن أى منافسة على الأقل لمدة ١٠ سنوات.

إذا كان الأمر كذلك، فمن أين نرى ارتفاع ميزانية الاستخبارات من ٢٦.٧ بليون دولار عام ١٩٩٨ إلى ما يقرب من ٢٩ بليون دولار عام ١٩٩٩، ورقم كان أكثر ارتفاعًا عام ٢٠٠٠. تتساءل جريدة

نيويورك تايمز عن السبب فى ذلك: كان ثلثا ميزانية الحرب الباردة من أجل تحصيل المعلومات حول الاتحاد السوفيتى. أما اليوم فإنه يصعب علينا أن نفهم لماذا نحتاج كى هذه الأموال حتى ولو كان الأمر يمت إلى مكافحة الإرهاب وإنتاج صواريخ جديدة وتغطية مرتبات موظفين جدد (٢٠٠٠/١٢/٥) ؟ نعم: ما الداعى إلى هذه التعبئة المالية على ساحة الاستخبارات والاستعداد الاستراتيجى كلها بعد نهاية الحرب الباردة وزوال السوفيت؟

الإجابة دون مواربة. عند صاحب الدعوة والتخطيط: هرم من المجلدات والدراسات والتقارير والمقالات يأتينا من المطابع الأمريكية يعلن بأرفع صوت: إن العدو الصاعد فى القريب وكذا فى التاريخ الوسيط إنما هو الصين، فى قلب آسيا الشرقية والدائرة الأوسع التى تمتد غربا إلى روسيا وجنوبا إلى الهند - نحو ٧٠٪ من سكان المعمورة، دعنا من الموارد والإمكانات والطاقات فى هذه المنطقة القارية النواة المطلة على أكبر المحيطين الهادى والأطلطى.

من هنا كانت طلعتنا اليوم إلى المحيط الأكبر، المحيط الهادى، النظرة الأمريكية التقليدية هى أن المحيط الهادى بحيرة أمريكية وذلك منذ نهاية القرن التاسع عشر وخاصة بعد كسر الأسطول اليابانى وانتصار ١٩٤٥. ولكن الخريطة التى يطالعها الجميع تبين أن المحيط الهادى ساحة لتفاعل الجناح الأمريكى شرقا وآسيا

الشرقية من شمالها إلى جنوبها غربـا. أى إنـه محيـط جميـع الدول المطلة عليه محيط وليس بحيرة.

هل نصطدم هنا بإشكال لفظى أو اختـلاف علـى المصطلـح؟ أو أن هذا التساؤل يصب فى قلب الإجابة على السؤال: كيف يكون العـالم الجديد؟.

من المحيط إلى الفضاء

طلعتنا إلى المحيط الأوسع. إلى سواحل آسيا وأمريكا المطلة عليه، إلى التحديات والصراعات وكذا التكامل نبدأ من آخرهـا كمـا يقولـون هذه الأيام فى مصرنا المحروسة. وآخرهـا هنـا هـو ميزانيـة الدفـاع الصينية الجديدة للعام القادم التى تم إعلانـها يـوم ٥ مـارس المـاضى مشيرة إلى رفع الميزانية بنسبة ١٧,٧٪ بالنسبة للعام الماضى أى إنـها سوف تبلغ ١٧١٩٥ بليون دولار عام ٢٠٠١، وهو رقم أرفع من الهند وتايوان وكوريا الجنوبية. إلى هنا والخبر تم عرضـه بطريقـة تسـتثير الخوف - الخوف من الصين، وكان مـن واجـب المعلقـين أن يذكـروا بعض أرقـام أخرى: خلال التسـعينات أنفقت الصين ما يقـرب مـن ٦ بلايين دولار على لمشتريات العسكرية الخارجية بينما بلـغ إنفـاق تايوان (وهى جزيرة تتكـون مـن ٢٣ مليـون نسـمة) ٢٠ بليـون دولار وكذا كان من لواجب أن يذكر المحللون أن ميزانية الدفـاع الصينيـة الكلية تبلغ ٥٪ من الميزانية الأمريكية و١٣٪ من ميزانية اليابان. ثـم

وجب التساؤل حول ما قدمه وزير المالية الصينى عن مبررات رفع الميزانية من أجل مواجهة التغيرات الجذرية فى الموقف العسكرى العالمى والإعداد للدفاع والمعركة فى ظروف التكنولوجيا الحديثة وخاصة التكنولوجيا المتقدمة. أصبح من الواجب، إذن أن نذكر شيئا عن هذا الجديد.

١ - هذا مثلا برنامج مناورات مركز حرب الفضاء الجديد الذى اشترك فيه ٢٥٠ خبيرا لمدة خمسة أيام فى شرق كولورادو فى الأسبوع الثالث من يناير ١٩٩٩. لاحظ الخبراء أن سيطرة أمريكا على أجواء المعارك فى العراق ويوغوسلافيا يمكن أن تهددها نوعيات جديدة من الصواريخ المضادة. ما العمل. إذن؟ كانت النتيجة هى إقامة قيادة عمليات الفضاء فى هيئة أركان القوات الجوية وإنشاء مدرسة حرب الفضاء الجديدة بغية إقامة ما يطلق عليه رمزا فيلق الفضاء. قامت المناورات تحت قيادة العقيد روبرت ريالس نائب قائد المركز الثالث واشنطن بوست: مناورات حرب الفضاء الأسبوع الماضى تحددت لعام ٢٠١٧ ذلك أن البلد الأحمر تجسد قواته لهجوم مرتقب ضد بلد صغير مجاور اسمه الأسمر ولذا يطلب الأسمر عون الأزرق. وقد وصف المسئولون البلد الأحمر فقط بأنه منافس خرج من المساواة ولكن المشتركين فى المناورة قالوا إن الأحمر هو الصين، وإن الأزرق هو الولايات المتحدة. وقد علق على هذه المناورة كلها عدد من القادة، واتفقوا على أن السيناريو هو التوتر المتصاعد بين الولايات

المتحدة والصين عام ٢٠١٧. إن علامة عام ٢٠١٧ تواكب علامة ٢٠١٥ التى حددها تقرير العالم عام ٢٠١٥ الذى عرضنا له مرارا، إن الاستعداد هو لمستقبل قريب جدا. ولكن أى مستقبل؟

نعود هنا إلى إعلاء هانتينجتون عن صراع الحضارات عام ١٩٩٣ وفيه حدد أن الجبهة المعادية للغرب والولايات المتحدة تتكون من الصين وكذا الدائرة الاسلامية، وأكد هو وصحبه وجميع المعلقين أن الدائرة الإسلامية تمثل مركزا للتهديد المباشر نظرا لعدم وجود مركز سياسى إستراتيجى لها، بحيث إنها تمثل غريما مشاكسا لا يرتفع إلى مستوى التهديد. بقيت إذن الصين بوصفها المنافس والغريم والعدو المرتقب.

يجدر بنا هنا أن ندرك أن الذى أعلن هذا الوضع هو وجه من أكبر خبراء الولايات المتحدة وليست الصين. وقد جاء هذا الإعلان عام ١٩٩٣، أى عندما بلغت حرب العراق أَوْجَها، وذلك أثناء ندوة على شكل بحث قدمه هانتنجتون «النظام العالمى بعد نهاية الحرب الباردة» بمدينة لوكسمبورج ومن بعده كان الكتاب الشامل المشهور بعنوان «صدم الحضارات» وإعادة صياغة النظام العالمى (١٩٩٦).

٢ - نشرت الصحافة الأمريكية فى بداية مارس كشفا لنوعية الأسلحة الجديدة تحت الدرس على أهمها الطراد الجديد (دد - ٢١) وهو نوع جديد من السفن التى لا يمكن اكتشاف مكانها والقادرة على

ضرب أهداف قارية على بعد مئات لكيلو مترات داخل البلاد بدءا من المحيطات هذا الطراد يحمل ١٢٠ صاروخا بعيد المدى و١٥٠٠ قذيفة بعيدة المدى يمكن إطلاقها حتى ١٦٠ كم داخل الأراضى المستهدفة. وكذا هناك نوعيات أخرى من أنظمة تسلح التكنولوجيا المتقدمة ومن بينها طائرة الهجوم غير المرئية إف-٢٢ وتكلفتها ١٨٠ مليون دولار لكل وحدة، ثم الطائرة العمودية إف-٢٢ بتكلفة ٨ ملايين للوحدة وأهداف هاتين الطائرتين هى القدرة على الضرب فى الأعماق دون الرصد المسبق.

القائمة تطول، خاصة وأن وزير الدفاع الجديد دونالد رامسفيلد من أشد المؤمنين بالتكنولوجيا المتقدمة وحرب النجوم فى إطار سياسة الدفاع الجديدة تحت الدراسة.

٣ - ولكن الأهم من هذا كله إنما هو الاستراتيجية الحربية لولايات المتحدة. وفى هذا يقول يوهو الباحث فى مركز الصين للعلاقات الدولية المعاصرة للجريدة اليومية لجيش التحرير ١٩٩٩/٦/٣ ما يلى: الكل يعلم أن العنصرين التكوينيين للاستراتيجية الكوكبية الأمريكية لما بعد الحرب الباردة إنما هما: مخطط التعاون بين اليابان والولايات المتحدة من ناحية وانتشار حلف الأطلنطى شرقا من ناحية أخرى. وفى أوروبا نرى أن الولايات المتحدة تعمل على توحيد أوروبا لمحاصرة روسيا بينما نراها فى آسيا تتحد مع اليابان لوقف الصين.

ماذا عن حقيقة الأمر فى الأحداث التى نراها تندرج أمامنا تباعا؟

٤ – الموقف فى أوروبا أولا. وقد استرعى الانتباه ما تصور البعض أنه خلاف بين أمريكا وأوروبا فى مجال إقامة قوات الدفاع الأوروبية الجديدة. ولكن سرعان ما أدرك الرأى العام أن هناك ساحة واسعة من التوافق. ذلك أن جميع دول أوروبا توافق دون استثناء على تواصل عضويتها فى حلف شمال الأطلنطى تحت الإمرة الأمريكية. كما أنها تعتبر أن مشروع قوة الدفاع الأوروبية الجديدة لا يمكن أن يكون مضادا لقوات حلف الأطلنطى. بل على تناسق معه مما يعنى أولوية التخطيط والهيكلة والتنظيم وكذ وسائل التكنولوجيا المتقدمة التى لا تملكها إلا الولايات المتحدة. وبالفعل نرى عدة وجوه تتألق هذه الأيام. تجمع بين الخبرة هنا وهناك، أى فى حلف شمال الأطلنطى من ناحية والأجهزة الأوروبية من ناحية أخرى. فقد انتقل مثلا خافير سولانا من كونه أمينا عاما لحلف شمال الأطلنطى إلى توليه مسئولية تنسيق السياسة الخرجية والدفاعية للاتحاد الأوروبى، بنفس العقلية والمنهج اللذين اشتهر بهما أثناء حربى العراق ويوغوسلافيا. هذا بينما قرر الاتحاد الأوروبى أن يتولى كريس باتين مسئولية السياسة الخارجية العليا شكلا، بعد أن تبين أن آخر حاكم بريطانى لهونج كونج أصبح اليوم محل ترحيب من الصين تقديرا لواقعيته وتحضر موقفه. ثم هذه مثلا فيفيان ريدنج المسئولة عن ملف التربية والثقافة فى الاتحاد الأوروبى من لوكمسبورج،

وكانت رئيسة للجنة الصداقة بين أوروبا وتايوان، حيث اكتسبت لقب مدام تايوان تقديرا لشدة تحمسها للجزيرة. ثم هذا لورد روبرتسون. الأمين العام لحلف شمال الأطلنطى والذى نراه يشجب كل محاولة أوروبية للابتعاد ولو نسبيا عن حلف شمال الأطلنطى، ويتخذ المرة تلو المرة مواقف متشددة هجومية فى كل ما يتعلق بالقوى والأقاليم خارج دائرة الأطلنطى خاصة روسيا والشرق الأوسط وكذا آسيا الشرقية، شأنه فى ذلك شأن ممثل بريطانيا فى مجلس الأمن. كل هذه مقدمات إلى إعادة ترتيب الأمور فى آسيا الشرقية، وهو ما يشغل بال أمريكا إلى أبعد درجة.

على ضفاف آسيا

عند هذا الحد، وفى هذا الزمان يصبح لزاما علينا أن نتساءل: كيف تبدو الضفة الأخرى من المحيط الهادى فى مرآة أمريكا؟

منذ قرن مضى، كانت البلاد، أو الدول، فى آسيا الشرقية تمثل دائرة واسعة ثرية للاختراق الغربى، بدءا من الموانى الساحلية ومنها إلى ثروات الدخل حول محاور الأنهار. هكذا كان أمر الصين وفيتنام مثلا، بينما تشتد قبضة الاحتلال البريطانى والهولندى والفرنسى على جنوب شرق آسيا. وكذا اليابانى على كوريا. لم يكن هناك حقيقة ما ينافس، ولا أقول يهدد، القوى الأمريكية الصاعدة، ولم ينتبه الاستعمار الغربى إلى الثورات الشعبية خاصة الفلاحية، فى

داخل القارة وعلى رأسها ثورات تايبينج ثم البوكسرز فى الصين، أمور الحكم مستقرة للدول الغربية إلى ما لا نهاية، أو هكذا كان التصور. ثم بدأت الأمور تتفجر فى الثلث الآخر من القرن التاسع عشر، حول ثورة مايجى فى اليابان (١٨٦٨)، وانطلقت اليابان فى طريق التحريك والتنمية الذى جعل منها الند أو الغريم الأول للولايات المتحدة بعد ١٩٣٠ على طريق الحرب الشاملة فى شرق المحيط الهادى بعد ١٩٤١، وفى الوقت نفسه تجمعت الانتفاضات الشعبية المسلحة على شكل حركات تحرر وطنى اتخذت طابع الثورات التحريرية الشعبية فى الصين وفيتنام وماليزيا وأندونيسيا وبورما (ميانمار). وهى الحرب التى امتزجت فيها قيادات الطبقات الوسطى والرأسمالية الصاعدة الآسيوية مع ألوية الطلائع الشيوعية، خاصة بعد ثورة ١٩١٧ فى روسيا. كان هذا هو طريق المسيرة الطويلة بقيادة الرئيس ماوتسى تونج حتى تأسيس جمهورية الصين الشعبية فى أول أكتوبر ١٩٤٩. هكذا أيضا طريق ثورة فيتنام حتى نصر عام ١٩٧٥. بينما اشتعلت الحرب الأهلية بين القوى الوطنية والتقدمية من ناحية والقوى التقليدية بدعم من أمريك فى كوريا، مما أدى إلى تقسيم البلاد. أما فى الجنوب فقد انتصرت قوى التحرير فى ماليزيا وميانمار وأندونيسيا مع بعض التقدم فى الفلبين. تاريخ حافل اجتمعت فيه إرادة شعوب الشرق الأفروآسيوية فى مؤتمر باندونج (أبريل ١٩٥٥).

ثم كان الثلث الآخر من القرن العشرين حيث بدأ إيقاع صعود آسيا يرتفع بشكل تدريجي حتى بلغ مستوى قياسيا في تاريخ العالم، خاصة في الصين. إلى هنا والموضوع يمكن حصره بالوسائل الاستراتيجية التقليدية إلى أن تفجرت الأمور في خريف ١٩٩٩.

١ - أدركت مجموعة دول جنوب شرق آسيا (آسيان) أنه لابد أن تلحق بإيقاع التقدم في الصين وشمال شرق آسيا، وقررت الموافقة على فكرة إقامة تجمع سياسي واقتصادي تشارك فيه اليابان والصين وكوريا الجنوبية (أي ٧ + ٣ = ١٠).

٢ - وفي الوقت نفسه تقاربت قوى الصين واليابان وكوريا الشمالية للإفادة من انتقال مركز التقدم الاقتصادي الهائل من جنوب شرق آسيا إلى شمال شرق آسيا. وافقت الصين واليابان وكوريا الجنوبية على فكرة إقامة ملتقى آسيا الشرقية حسب اقتراح الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا. قدمت سنغافورة فكرة قمة سنوية في آسيا الشرقية تجمع بين دول آسيا والدول الثلاث الشمالية الصين واليابان وكوريا الشمالية. دخل موضوع تجمع ١٣ دولة في شرق آسيا كلها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب إلى حيز التنفيذ في اجتماعات متتالية. فجأة أصبح تكوين كتلة في آسيا الشرقية - أيا كانت تسميتها - عاملا واقعيا على الضفة الأخرى من المحيط الهادي، عبثا حاول بعض زعماء الدول الصغرى تأكيد أن الاجتماع

الجديد لا يذهب إلى حد استبعاد الولايات المتحدة وإنما إلى تحقيق التماسك فى آسيا الشرقية. فجأة، وفى شهور قلائل، أدركت مراكز الرصد والتحليل أن همزة الوصل المحركة التى تجمع بين شمال شرق وجنوب شرق آسيا إنما هو الصين بمساندة كوريا الجنوبية واليابان.

٣ – ماذا عن القوة الاقتصادية لآسيا الشرقية فى مجموعها؟ الكل يذكر الأزمة المالية التى كادت تطيح بأسواق المال فى جنوب شرق آسيا عام ١٩٩٣؛ بلغ معدل النمو السنوى لمجموعة دول جنوب شرق آسيا فى السنوات العشر قبل الأزمة ٧,٣٪ سنويا، بينما كان هذا المعدل فى مجموعة دول شمال شرق آسيا باستثناء اليابان (الصين، هونج كونج، تايوان، كوريا الجنوبية) ٨,١٪. وبعد الأزمة حدث التغيير اللافت: ارتفع معدل التنمية السنوية لدول شمال شرق آسيا إلى ٦,٦٪ عام ١٩٩٧، بعد أن كان مجرد ٠,١٪ عام ١٩٩٣، هذا بينما انخفض معدل التنمية فى جنوب شرق آسيا إلى ٣,٨٪ بينما كان أكثر من ٧٪ عام ١٩٩٣. أى أن الزيادة فى التنمية الاقتصادية انتقلت بشكل واضح إلى القطاع الشمالى من آسيا الشرقية من الصين إلى كوريا الشمالية، بينما تقدمت المنطقة الجنوبية لآسيا الشرقية بشكل ملحوظ رغم الأزمة.

٤ – التطور الأكثر خطورة حدث فى كوريا بفضل رئيس كوريا الجنوبية كيم داى يونج الذى رفع شعار سياسة الشمس المحرقة.

وبالفعل كان اجتماع رئيس كوريا الجنوبية والشمالية يوم ١٣ يونيو ٢٠٠٠ فى بيونج يانج إعلانا بأن كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وجدتا أرضية مشتركة وبدأ الطريق نحو اتحاد ذى صورة شفافة، بينما وافقت كوريا الشمالية على بقاء القوة العسكرية الأمريكية فى كوريا الجنوبية واتخاذ مجموعة من الإجراءات لوضع حد للمواجهة بين الدولتين. إلى هنا والقصة تبدو إيجابية تضع حدا لانقسام أمة عريقة تملك قوة هائلة. وربما هذه القوة الهائلة - الواقعة والكامنة - هى التى تزعج أمريكا: إن ظهور اتحاد فيدرالى كورى جنبا إلى جنب مع الصين واليابان معناه يابان جديدة، أى أنه يجعل من شمال شرق آسيا- من جنوب الصين حتى شمال المحيط الهادى - أهم مركز عالمى اقتصادى واستراتيجى وسياسى متصاعد بإيقاع سريع يجمع بين أمم وحضارات عريقة صاحبة نهج وفكرية ونظام مجتمعى مغاير للولايات المتحدة الأمريكية على الضفة المواجهة من المحيط الهادى الأوسع.

٥ - أما فى المنطقة الجنوبية لساحة شرق آسيا، فقد حاولت الولايات المتحدة أن تسوى الأمور مع فيتنام أثناء زيارة الرئيس السابق كلينتون. أجمع المحللون أن الجهود المبذولة لم تصل إلا للدائرة الخارجية، إذ أصرت القيادة الفيتنامية على موقفها حول التنمية المستقلة صوب الاشتراكية وكذا على تسوية الخسائر الناتجة

من جرائم الحرب الشاملة الإجرامية ضد شعب فيتنام. أى إن الموضوع لم يتعد مستوى التسوية الدبلوماسية وما زالت الأبعاد السياسية والاقتصادية دون حل. يحدث هذا فى الوقت الذى تقترب فيه فيتنام بخطى عاجلة من لصين، تستمع فيها ومعها كوريا الشمالية إلى دروس التنمية الصينية، بينما ترى الصين فى فيتنام الحليف القوى ثابت الأقدام رغم المصاعب فى الجنوب. من البحيرة الأمريكية إلى المحيط الأوسع، على شواطئ آسيا.

(٢)

جاءت طلعتنا إلى المحيط الأوسع، المحيط الهادى للوصول إلى عناصر التباين والتواكب، الصدام أو التعايش بين الضفتين الأمريكية والآسيوية الشرقية حول الصين وكأنها على موعد مع أول أبريل ٢٠٠١: يوم تصادم طائرة التجسس الأمريكية بالمقاتلة الصينية داخل المياه الإقليمية الصينية وسقوط قائدها وانج واى شهيدا فى عرض المحيط.

الغريب فى الأمر أن مسار السياسة الصينية تجاه الولايات المتحدة استمر إلى التعايش المعقول طوال الفترة السابقة، رغم تجمع أجواء العاصفة.

* أكد شازوكانج كبير المفاوضين فى أمر التسلح أن الصين على استعداد لإظهار مرونة كبيرة فى مسألة أنظمة السلاح الفضائية الجديدة، معلنا: أن الولايات لمتحدة كبيرة جدا لن تستطيع أن نطردهم إلى فلق القمر. أما الصين فقد وجدت على الأرض منذ ٥٠٠٠ سنة على أقل تقدير. وسوف تظل هنا إلى أبد الآبدين، بيننا وبين الولايات المتحدة علاقة محبة... كراهية. ولكن بيننا أيضا مصالح كثيرة مشتركة. إنى أشعر أنهم أيضا على نفس النوايا الحسنة.

* وكذا بالنسبة لمسألة تايوان، وقد عرض لها يميان يانج مدير قسم الدراسات الأمريكية فى معهد شانجهاى للدراسات الدولية، فى مقال لافت له: فى أغسطس ٢٠٠٠ قدم كيان شيشن (نائب رئيس الوزراء المسئول عن السياسة الخارجية) تعريفا لمفهوم الصين الواحدة بطريقة عملية لم تلتفت إليها الولايات المتحدة بشكل كاف. أعلن أن الصين الواحدة تشمل كل من الصين القارية وتايوان. تطوير هو تغيير بالنسبة للإعلان السابق الذى كانت بموجبه تايوان جزءا من الصين القارية فقط. إن هذا التعريف الجديد يقدم مرونة أكبر بكثير فيما يتعلق بخفض التوتر عبر المضيق.

* ثم جاءت محاضرة جورج يو وزير تجارة وصناعة سنغافورة أمام معهد الاقتصاد الدولى فى واشنطن يوم ١٣ مارس ٢٠٠١، كما لخصته هيرالد تريبون (٢٠ مارس) تحت عنوان «متابعة نمو الصين والأمل أن أمريكا سوف تستمر». المقال الهام يبين أن العلاقة بين الصين وأمريكا أهم بكثير من الخلافات. خلال السنوات العشرين الماضية، نمت الصين بمعدل ١٠٪ سنويا. ارتفعت تجارتها الخارجية من ١١٧ بليون دولار عام ١٩٩٩ إلى ٤٧٤ بليونا فى العام الماضى. أصبحت الصين ثانى شريك تجارى لليابان والشريك الرابع لكل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى. الصين تحتل ثانى مكانة بعد الولايات المتحدة فيما يتعلق بالاستثمارات المباشرة الخارجية. الاستثمارات فى الصين عام ٢٠٠٠ ارتفعت بنسبة ٥٠٪.

كانت الصين تمثل ٢٠٪ من مجموع الاستثمارات الخارجية فى آسيا النامية بينما كانت تمثل آسيا الجنوب شرقية ٦٠٪، أما اليوم فقد انقلبت أرقام النسب. ثم راح يبين بوضوح وجلاء أهمية التأثير الأمريكى فى إنهاض آسيا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية. وفى جزء ثالث يبين كيف أن الصين تلعب دورا هاما فى تطوير الأمور فى كوريا الشمالية وكيف أنها لا تعارض فى رفع مستوى الدفاع الأمريكى إلى حد معقول. وانتهى الوزير إلى أهمية جنوب شرق آسيا التى تعبرها طرق نقل البترول إلى اليابان وكوريا والصين مؤكدا بذلك أهمية دور أمريكا فى تهدئة الأمور. تحدث الوزير بلغة الواقعية الجادة والالتزام بالنسبة لأمن المنطقة. وفى حديثه ما يؤكد تماما إمكان تعايش الصين وأمريكا فى آسيا الشرقية، لو ذهب الجميع إلى نهج الواقعية والعقل.

* ثم جاء أسبوع زيارة نائب رئيس وزراء الصين كيان شيشن إلى الولايات المتحدة بين ١٨ - ٢٤ مارس ٢٠٠١. الزائر هو صاحب إعادة صياغة مفهوم الصين الواحدة التى تمثل وجهة نظر الحزب والدولة فى الصين. وكذا فإنه سياسى ودبلوماسى مخضرم معروف وسع الاطلاع والحصافة والذكاء الدقيق الحاد. لا شك أنه عرض على من التقى بهم فى واشنطن هذه المعانى الجديدة. أى أنه خير رسول لإمكان تخطى الجمود وإقامة جسر من التفاهم. وبالفعل ورغم عدم صدور بيان مشترك، تم الإعلان عن موافقة الرئيس بوش لدعوة

الصين إلى زيارة رسمية بعد اجتماع جماعة آسيا - المحيط الهادى الاقتصادية فى شنغهاى (نوفمبر ٢٠٠١). وحاولت من جانبى أن أتابع أخبار هذه الزيارة المحورية للولايات المتحدة عبر محطات التلفزة الأمريكية وكذا الصحافة. وقد أذهلنى حقيقة أن شبكة سى إن. إن لم تعرض الموضوع بوصفه خبرا مهما، أو أن يكون خبرا رئيسيا. اكتفت بذكر الزيارة بين الحين والآخر فى نهاية النشرة عنوانا بين عدة عناوين أخرى. أما الأخبار الكبرى فقد تركزت على مقدونيا والتفجيرات فى روسيا وأخبار الأوبئة الحيوانية فى إنجلترا.. عدت إلى كبرى الصحف الأمريكية فوجدت اهتماما أكبر بالزيارة وبعض المقالات التى تدعم التطور السلمى وتفتح الطريق، خاصة المقالين المذكورين أعلاه.

* إلى أن جاء ما هو أغرب من ذلك إن رئيس الصين التقى يوم الجمعة ٢٤ مارس ٢٠٠١ بوفد من جريدة واشنطن بوست المرموقة لمدة ساعة كاملة وأدلى لهم بتصريحات حول جميع الموضوعات تتويجا لرحلة نائب رئيس الوزراء إلى أمريكا ودعا إدارة بوش الجديدة إلى التفكير استراتيجيا. ليس المهم من يدير الحكم فى الولايات المتحدة وكذا ليس من المهم اختلاف الأسلوب إلى حد ما الذى يستعملونه، بل إن هناك شيئا ثابتا يجب على الولايات المتحدة أن تنظر إلى التعاون لأمريكى - الصينى من منظور إستراتيجى، أى أن تنظر إلى المصالح الاستراتيجية. أما الحديث

نفسه، الحديث لمدة ساعة، ومن قبله إجابة رئيس الصين المكتوبة على أسئلة الوفد الأمريكى، فعبث حاولت أن أجدها فى أعمدة الجريدة. لا إشارة إلا لهذه المداخل فى الصفحات الأولى، أما باقى المقال حول هذه المقابلة فقد ركز على مسألة حقوق الإنسان فى الصين وكيف أنها تنشر الريبة فى الداخل. وهو الموضوع الذى لم يعرض له الصحفيين ولا الرئيس الصينى.. بينما تقدم الصين ساحة واسعة للتعاون بدلا من المواجهة، ولشراكة بدلا من الصدام، وذلك بدءا من المصالح الواقعية بعيدة المدى للدولتين الكبريين، فإن الإعلام الأمريكى حول نواة الرئاسة الأمريكية الجديدة - يحاول شبه تغييب هذه المواقف الجادة المتصلة، مكتفيا بالإشارة وكأنها من الهوامش غير الدالة.

الطريق إلى المواجهة

عند هذا الحد جاء الإعلان عن المعالم الرئيسية للسياسة العسكرية الأمريكية الجديدة كما عرضها وزير الدفاع دونالد رامسفيلد وأندرو مارشال على الرئيس بوش يوم ٢٣ مارس.

١ - المحيط الهادى هو أهد ساحة للعمليات العسكرية الأمريكية الرئيسية القادمة وذلك على أساس تصاعد قوة الصين وانخفاض قوة روسيا وسوف يستوجب ذلك إعادة توجه سياسة الدفاع التى ظلت منذ نهاية الحرب العالمية الثنية تهدف للإبقاء على السلام فى أوروبا وردع الاتحاد السوفيتى.

٢ – إن العمليات فى المحيط الهادى تقتضى تركيزا أكبر على مقدرة تصويب القوة بعيدة المدى مما يستوجب بذل اهتمام أكبر بالقدرة على النقل الجوى ووسائل أخرى لإرسال القوات والقوة التدميرية عبر آلاف الأميال.

٣ – إن انتشار الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل يمكن أن يحد من إمكان حلفاء الولايات المتحدة أن يصلوا إلى القواعد عبر البحار، مما يستوجب على القوى العسكرية الأمريكية أن تكون مستعدة للحفاظ على نفسها وهى تعمل على مسافات بعيدة.

٤ – إن انتشار الصواريخ فى العالم الثالث يعنى أيضا أنه يجب على القوى العسكرية الأمريكية أن تهتم أكثر بامتلاك الطائرات والسفن ووسائل النقل التى تتصف بالقدرة على تفادى الرادار أى قدرة الـ ستيلث.

٥ – من أجل تحقيق هذه الأهداف يجب على القوات المسلحة أن تتوقف عن الإنفاق على أنظمة التسلح القديمة التى ربما لن تستعملها خلال السنوات العشر القادمة.

وقد لاحظ المحللون أن هذا العرض تم فى غياب الجنرال هنرى شيلتون، رئيس هيئة رؤساء الأركان المشتركة، وكذا فإنها أهملت إشراك رؤساء أركان مختلف الأسلحة وكذا كبار قادة القوات المسلحة فى صياغتها.

هكذا كان الجو المعادى الأمريكى فى الأيام التى سبقت حادث ول أبريل.

بكين - موسكو

وإذا بالأمور تتخذ مجرى آخر يبدو غريبا على هذه الإشكالية ألا وهو الهجوم المفاجئ الأمريكى ضد السياسة الروسية وكأنها أصبحت بين عشية وضحاها.. تمثل الغريم والعدو الذى طال غيابه ترى ما حقيقة الأمر؟ ثم: ما العلاقة بين هذه الحملة الاستراتيجية وصعود الصين مركزا عالميا مؤثرا فى قلب دائرة آسيا - المحيط الهادى؟

الصراع الأمريكى مع روسيا

رفض روسيا لنظام التسلح الجديد واعتباره تصفية لمعاهدة توازن التسلح الاستراتيجى التقليدية التى تضمن استقرار نظام السلام العالمى القائم على الردع المتبادل. تصدير أنظمة التسليح الحديثة إلى الدول دون أى تمييز، خاصة الدول لتى تعتبرها الولايات المتحدة دولا مارقة: إيران، العراق، كوريا الشمالية، فيتنام، كوبا، وعلى النطاق الأوسع جمهورية الصين الشعبية بطبيعة الأمر. التقارب مع دول الاتحاد الأوروبى خاصة تلك التى تتميز بتوجه نسبى إلى استقلال ذاتى خارجى، أى فرنسا وألمانيا. الوقوف بإصرار ضد التسلط الأمريكى لامتلاك دائرة منابع البترول الجديدة فى منطقة القوقاز وبحر قزوين وآسيا الوسطى. التوجه إلى آسيا بشكل عام،

خاصة إلى الصين وكوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وفيتنام.. ثم الهند، ولعل أخطر الأمور فى نظر أمريكا ذلك التقارب المطرد وذو الإيقاع السريع بين روسيا والصين منذ إعلان الشراكة الاستراتيجية بين الدولتين عام ١٩٩٥ المتجه إلى إعلان معاهدة التحالف الثنائية صيفا.

بلغت الحملة ذروتها – أيضا – خلال شهر مارس ٢٠٠١ وذلك بدءا من تصريحات وزير الدفاع الأمريكى رامسفيلد يوم ١٨ مارس للصحافة الأمريكية:

– إن روسيا تعمل على نشر (أسلحة الدمار الشامل) إنها استمرت فى توريد معونة إلى هذه الدول المارقة فى مناطق وبأساليب تزيد الموضوع تعقيدا بالنسبة للولايات المتحدة وأوروبا الغربية.

ثم علق نائب الوزير الصهيونى المرموق وولفوفيتز بقوله: يجب أن تواجه روسيا بخيار. لا يمكن أن تتصور أنها ستستمر فى المعاملات التجارية بمستوى بلايين الدولارات والمساعدات من أمريكا وحلفائها بينما هى فى نفس الوقت تبيع أشياء مضرة تهدد شعبنا وكذا قادة طائراتنا وملاحينا. واستغرب كيف أن الإدارة الأمريكية السابقة التى بالغت فى تفهم روسيا ومنحها المعونة الدبلوماسية والمالية الواسعة، ولكنها رغم هذا لم تستطع أن تلوى ذراع روسيا، إلى أن بلغ الأمر أن ضعف روسيا منحها نفوذا علينا (كذا). واللافت للأنظار أن الدولتين محل التوجس الأمريكى فى هذا المجال كانتا إيران ثم كوريا الشمالية. وعبثا أكدت روسيا عبر مختلف المتحدثين الرسميين

والقنوات أننا مرة أخرى نجد أنفسنا متهمين بكوننا نصدر أهم أسلحة الدمار الشامل دون أدنى دليل، وهو ما يتجه ضد الموقف الرسمى للرئيس الأمريكى الجديد ألا وهو أن روسيا والولايات المتحدة ليستا عدوتين. إنهما لا تهدد إحداهما الأخرى هذا فى الوقت الذى أعلن فيه المتحدث لوزير الخارجية الأمريكية عن عدم الرضا أمام قرار روسيا لبيع مواد نووية سلمية إلى الهند.. بقية المسلسل معروفة: اتهام عدد من الدبلوماسيين لروس بالتجسس وطرد أكثر من ٤٠ دبلوماسيا من السفارة الروسية فى واشنطن وهو الإجراء الذى قابلته روسيا بنفس الموقف. ثم فجأة التفجيرات الثلاثة فى الدائرة المحيطة بمقاطعة شيشنيا فى الوقت الذى أعلن فيه الرئيس الروسى بوتين نيته للبحث عن حل وسط تدريجيا.

عند هذا الحد أجمع المحللون على أن هذه المواقف تؤكد أن الولايات المتحدة تعود إلى معانى الحرب الباردة من جديد ضد الغريم السوفيتى آنذاك الروسى الآن. لكن السؤال يظل قائما: لماذا اختيار هذه اللحظة بالذات؟ ما هو الجديد لذى رأت فيه الولايات المتحدة تهديدا ممكنا لهيمنتها على العام دون منازع؟. الجديد فى مرحلة صياغة عالم جديد متعدد الأقطاب يتركز حول الإعلان عن اجتماع القمة بين الصين وموسكو فى يولية ٢٠٠١ القادم لإبرام معاهدة صداقة/شراكة، فى كافة المجالات. وأكدت الدولتان أنهما لا تهدفان إلى إقامة تحالف عسكرى، وإنما هو منفتح على جميع الدول دون تمييز بغية السعى إلى التعددية لتى تنشدها معظم دول العالم. كان

موعد هذا المؤتمر الثنائى فى القمة معروفا تماما، ولكنه لم يرتق لمستوى التهديد إلا منذ تولى الرئيس الجديد جورج دبليو بوش مقاليد الأمر فى واشنطن.

لعل هناك جديدا بين الصين وروسيا خلال هذه الفترة؟ الحق أن هناك مجموعة من التحركات والمبادرات فى آسيا الشرقية بدءًا من الصين تفتح مجالا عالميا واسعا أمام آسيا وأوروبا – المنطقة المركزية النواة فى لعالم – بعيدا عن نفاذ الهيمنة الأمريكية خاصة فى مجالى الاقتصاد والطاقة.

أين الحلفاء؟

فى هذه اللحظة التاريخية بكل معانى الكلمة تنفجر أزمة طائرة التجسس الأمريكية EP-E3 وسقاطها لطائرة F-8 الرقابة الصينية فى عرض جزيرة هاينان الصينية الجنوبية وما ترتب على ذلك من وفاة قائد الطائرة وانج وابى وفقدان طائرته، وكذا إصرار الولايات المتحدة على عدم الاعتذار وتمسك الصين بضرورة الاعتذار، وكذا متابعة التجسس جوا على مياه الصين الإقليمية وحدودها. ترى ما وقع هذه الأزمة الخطرة على حلفاء الولايات المتحدة فى آسيا: اليابان، كوريا الجنوبية، خاصة تايوان؟.

* أعلنت الولايات المتحدة مرارا وتكرارا أن الأولوية فى آسيا إلى اليابان وفجأة هبت الأعاصير جاءت كارثة نسف سفينة الصيد والتدريب ايهيمى مارو اليابانية على أيدى الغواصة الأمريكية فى

بيرل هاربور يـوم ٩ فـبراير ٢٠٠١ وبقتـل تسـعة أطفـال لتضيـف إلى جراح اليابانيين من استمرار احتلال جزيرة أوكيناوا الجنوبيـة وغـير ذلك من معانى تجريح الشعور القومى اليابانى.

هنا أيضا رفضت الولايات المتحدة أن تعتذر، رغم ثبات مسئولية قائد الغواصة إلى حد التسليم بحق ضيوف الغواصة المدنيين الأثرياء فى استعمال (ولا أقول التلاعب).

أجهزة الغواصة

ثـم أدركـت اليابـان أن طـائرة التجسـس الأمريكيـة المسئولة عـن حادث هاينان انطلقت من قاعدة كادينـا الجويـة الأمريكيـة بجزيـرة كيناوا ذاتها. ومن هنا أسرعت الحكومة اليابانية لتؤكد أن هذا الأمـر لا يؤثر بحال من الأحوال على علاقة اليابان بالصين، وتزايد الشعور اليابانى بضرورة الابتعاد عن المناورات العدوانية.

إلى أن دخلت غواصة نووية أمريكية بعـد أيـام إلى ميناء ساسـيبو اليابانى دون إخطار دائرة الميناء حسب القواعد المرعية، وكأن الميناء اليابانى قطعة من أمريكا.

يحدث هذا كله فى الوقت الذى تتساءل فيه اليابان عن مستقبلها فـى مطلـع الأزمـة الاقتصاديـة والماليـة الأمريكيـة. هـذه مثـلا مجلـة إيكونوميست تتساءل فى افتتاحيتها الرئيسية يوم ٢٤ مارس ٢٠٠١: هل يمكن للعالم أن يفلت من الأزمة؟ جملة القول: أن الاتجاه الحالى إلى اختناق الاقتصادين الأمريكى واليابانى سوف يترتب عليه مخاطر

جسيمة فى الداخل بعد تسريح قطاع واسع من القوى العاملة وأزمة الحزب الحاكم الموالى لأمريكا منذ ١٩٤٥، أما فى الخارج فالأرجح أن اليابان سوف تدفع بصاراتها بشكل مكثف، وكذا أمريكا. ومعنى هذا أن الدوائر الإقليمية الاقتصادية الكبرى سوف تسعى إلى حماية أسواقها بغرض الحماية الجمركية. ولعل فى هذا ما ينذر بأزمة العولمة كما فرضتها القوة المهيمنة المركزية.

* ثم كوريا الجنوبية. إن فشل رحلة الرئيس الكورى الجنوبى كيم داى يونج إلى واشنطن واصطدامه بموقف الولايات المتحدة المتعجرف ضد سعيه إلى توحيد الكوريتين يستفز الشعور القومى الكورى فى الأعماق ويدفع نحو الوحدة إلى الأمام - رغم كافة العقبات.

وقد بلغ الأمر حد التساؤل: هل آن الأوان لمغادرة كوريا؟ كما قال سليج هاريسون فى العدد الأخير من المجلة الفصلية المرموقة فمورين افيرز (الشئون الدولية).

* بقى تهديد الولايات المتحدة بتسليح تايوان بأسطول طائرات تحمل أنظمة AEAIS المرتبطة بشبكة حرب الفضاء الجديدة - بغية عزل الصين ومحاصرتها، ما دام أن حق التجسس لابد أن يمتد منطقيا إلى حق إخضاع دول وأمم العالم..

مداخل تمهيدية إلى تصاعد رفض الانزلاق إلى صدام مفتعل بين العملاقين الأمريكى والصينى - شأن اليابان وكوريا الجنوبية - وكذا

تردد قطاع واسع من تايوان فى دفع عدوانية أمريكا ضد الوطن الصينى الأم.

مداخل أولية إلى انتقال المحيط الهادى من بحيرة أمريكية إلى المحيط الأوسع، محيط آسيا..

قال صاحبى:

كل هذا بينما يجوب رئيس الصين أمريكا اللاتينية يوطد الصداقات والشراكات الاستراتيجية، خاصة فى البرازيل، إلى حد إعلانه لحظة وصوله إلى كوبا: إنها (أى كوبا) لؤلؤة مشرقة فى بحر الكاريبى.. وكأنه يرحب بـ شم النسيم.. أليس كذلك؟..

الأستاذ رجب البـنا

- رسالة عتاب من الصين !
- جسر مع الصين

رسالة عتاب من الصين !

رسالة عتاب رقيقة وصلتنى من الصين، مليئة بالمشاعر الجميلة تجاه مصر وأهلها، وفيها معلومات جديدة ومثيرة بالنسبة لى، ولكن فيها أيضا اتهام لنا بالتقصير فى حق الصين ولا نتابع ما يحدث فيها وهم يتابعون كل ما يحدث عندنا، والصين هى الصديق الذى يمكن أن نثق فيه بغير حدود ولا تحفظات، لأنها ليست لديها مخططات أو أطماع سياسية فى المنطقة، ولها بالطبع مصالح اقتصادية، وثقافية، ولا شىء غير ذلك.

الرسالة تقول إن هناك اتفاقات لإقامة جسور تعاون كثيرة بين مصر والصين، وضعت خلال زيارات الرئيس مبارك لبكين، وزيارات الرئيس الصينى للقاهرة، ولكن التنفيذ ما زال بطيئا، لا يتناسب مع قوة وحرارة العلاقات السياسية بين البلدين، وعلى سبيل المثال فقد وعدت الحكومة بتعديل قانون الاستثمار ولائحته التنفيذية ولم تنفذ وعدها حتى الآن، ووعدت بإصدار تعليمات واضحة تحدد أسلوب العمل فى المناطق الاقتصادية فى مصر وبوجه خاص فى شمال غرب خليج السويس لكى تأتى الاستثمارات الصينية وهى على بينة بما سيحدث هناك، ولم يصدر قانون هذه المناطق حتى الآن ولم توضع

قواعد للتعامل، ووعدت الحكومة أن تلزم الجهات المصرية بالشفافية الكاملة فى العطاءات والمناقصات، ومع ذلك فإن اتحاد المطاحن الصينية يشكو من عدم رد الجهات المصرية على العطاءات الصينية رغم أنها كانت بأرخص الأسعار وأجود المعدات، وقبل ذلك تكررت شكوى الشركة الصينية للبترول من إلغاء تعاقد معها للحفر فى بعض مناطق البترول فى مصر، وأرسلت الشكاوى للجهات المختصة فى مصر، ولم تجد صدى.. وهناك قرار بتكوين المجلس المصرى الصينى لرجال الأعمال لم ينفذ من الجانب المصرى، ولم يظهر المصريون اهتماما بتنفيذه حتى الآن، مع أن هذا المجلس يمكن أن يلعب دورا فى تطوير العلاقات الاقتصادية، وزيادة حجم الاستثمارات والسياحة بين مصر والصين..

تقول الرسالة إن مشاعر المصريين تجاه الصين طيبة، وليس هناك أدنى شك فى صدق النوايا المصرية على تقوية العلاقات فى كل المجالات، ولكن البيروقراطية ما زالت تعرقل تحويل هذه النوايا إلى أعمال.

□□□

ومنذ زيارة الرئيس الصينى جيانج زيمن للإسكندرية ولقائه مع الرئيس مبارك فى الشهر الماضى بدأ تحرك ملموس يبشر بأن العجلة سوف تسير بسرعة أكبر. فقد زار عدد كبير من رجال الأعمال المصريين الصين منذ أسابيع والتقوا بممثلى الشركات الكبرى فى

معرض جواندونج الدولى فى جنوب الصين وتعرفوا على المنتجات الصينية التى تناسب السوق المصرية، كما تعرفوا على احتياجات السوق الصينية من المنتجات المصرية. والصين بقدر ما هى قاعدة إنتاج كبرى، ومنتجاتها تغزو أسواق العالم من أمريكا إلى أوربا إلى أفريقيا وآسيا بأسعار رخيصة. وجودة عالية، إلا أنها أيضا سوق كبيرة يمكن أن تستوعب الكثير من المنتجات المصرية، ففيها شعب يتكون من ١٢٠٠ مليون نسمة والمنتجات المصرية مهما كان حجمها فإن هناك شريحة من الصينيين يمكن أن تناسبها وتقبل عليها.. ولم تكن زيارة رجال الأعمال المصريين هى كل شىء، فقد سبقتها زيارة أخرى لوفد من رجال الأعمال برئاسة الدكتور هانى سرور أجروا مباحثات مع كبار المسئولين ورجال الأعمال فى مدينة تيانجين لإنشاء مدينة صناعية صينية فى القنطرة شرق. وبالإضافة إلى ذلك هناك تعاون بين مدينة تيانجين ومدينة السويس لإنشاء المنطقة الاقتصادية الخاصة التى سيبدأ النشاط فيها ببدء إقامة مجمع للمصانع الصينية فيها. ثم بدأت زيارة وزير العمل أحمد العماوى للصين لتوقيع مذكرة تفاهم مع وزير العمل الصينى للتعاون فى مجال تبادل الخبرات وتدريب العمالة. وزار الوزير مراكز التدريب الصينية للاستفادة من تجربتها فى تطوير مراكز التدريب فى مصر. ويزور بكين وزير التربية والتعليم الدكتور حسين كامل بهاء الدين لرئاسة الجانب المصرى فى الندوة المصرية حول التعليم، وترأس الجانب

الصينى تشين جينى وزيرة التعليم الصينية، وهذه الندوة تعقد سنويا بالتبادل بين القاهرة وبكين، وهى إحدى ثمار لقاءات الرئيس مبارك والرئيس زيمن، وقد ساعدت اجتماعات هذه اللجنة فى بلورة مفاهيم مشتركة لتطوير التعليم مع مقتضيات القرن الحادى والعشرين.

هذا من الجانب المصرى، أما من الجانب الصينى فقد زار مصر نائب رئيس الهيئة القومية للسياحة، ورئيس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة، ورئيس أكاديمية العلوم ونائب رئيس الأكاديمية الصينية للدراسات الاجتماعية.

□□□

وهكذا تبدو الصورة مضيئة، ولكن ذلك لا يكفى من وجهة نظر الصينيين، لأنهم يرون أن إمكانات التعاون أكبر بكثير من هذه المجالات المحدودة، وفى مصر أيضا شعور بأن الأمور لا تسير كما يجب، وتحتاج إلى دفعة أكبر لزيادة حجم التعاون سواء فى المجال الاقتصادى أم الثقافى.

والصينيون ينظرون إلى مصر على أنها دولة حققت الكثير من التقدم ولديها تجربة فى الإصلاح الاقتصادى يمكن أن تفيدهم.. وكذلك ينظرون بإعجاب إلى ما تحققه مصر فى مجالات حقوق المرأة. فالمرأة المصرية أصبحت أسعد حظا من المرأة الصينية.. ومع أن المرأة

الصينية تمثل ٥٥٪ من قوة العمل. وهناك قيادات نسائية فى الحكومة المركزية والمحليات، وربع عدد أعضاء السلك الدبلوماسى الصينى من النساء، إلا أن المرأة الصينية لا تزال تواجه عوائق ازدادت بسبب المرحلة الانتقالية التى تمر بها الصين الآن من الاقتصاد المخطط إلى اقتصاد السوق الاشتراكى، وأدت إلى فقدان كثير من العاملات أعمالهن، ومعظم المتخلفين عن التعليم فى المناطق الريفية من الفتيات، والتمييز ضد المرأة فى أماكن العمل ما زال موجودا، والاعتداء على المرأة، وغير ذلك من الظواهر المتوارثة فى مجتمع ملىء برواسب قرون من القيم والتقاليد القديمة، وهذا يجعل الصينيين يتابعون ما يحدث فى مصر فى مجال إعطاء المرأة حقوقها، ويقولون إنهم يستفيدون من هذه التجربة الناجحة.

□□□

فى الصين منذ عام ١٩٧٩ وحتى الآن تحول عظيم نحو الإصلاح الاقتصادى وإصلاح الشركات والمؤسسات المملوكة للدولة، ونتيجة التحول ازداد عدد العمال الذين تم الاستغناء عنهم، وما زالت مشاكل تضخم الديون ونقص التمويل والبيروقراطية تواجه عملية الإصلاح.. وقد استطاعوا زيادة أرباح الشركات العامة بنسبة ١٢٪ وتقليل خسائر بعض الشركات.. وسياستهم الآن هى تحويل الشركات العامة إلى شركات مساهمة أو شركات ذات مسئولية محدودة، مع استمرار وجود جزء من الأسهم مملوكا للدولة، وأعطوا حق الإدارة للأفراد، ونتيجة دخول القطاع الخاص مع القطاع العام،

وتحرر الإدارة من السيطرة الحكومية تحققت فى معظمها زيادة كبيرة فى الإنتاج والأرباح وانخفضت معدلات الخسارة فى الباقى. وهم يشعرون بالفخر لأنهم أصبحوا قادرين على المنافسة بإنتاجهم وأسعارهم فى الأسواق العالمية. وفخورون بما حققوه من تطور فى الإدارة وتجديد المصانع، ولديهم تجارب ناجحة جدا فى إنشاء مناطق لصناعات التصدير، ومناطق لإنتاج التكنولوجيا الحديثة.

ولكنهم – مع ذلك النجاح – ما زالت لديهم مشاكل– مثلنا – مع شركات القطاع العام.. فالقطاع العام ما زال هو الركيزة الأساسية فى الاقتصاد الصينى، وفى الماضى كانت الدولة هى التى تملك وتدير وتتحمل الخسائر، وكانت الدولة هى التى تحدد أسعار بيع المنتجات بأقل من التكلفة. وتخع على هذه الشركات أعباء الرعاية الاجتماعية للعاملين والتأمينات والعلاج كما هو الحال عندنا – وبعد تطبيق آليات السوق واستقلال الشركات لم تستطع هذه الشركات تحمل كل هذه الأعباء وحدها، واكتشفت الدولة أنها هى التى كانت السبب فى كل الخسائر.

وظهرت عندهم -- كما ظهرت عندنا – مشكلة تضخم العمالة نتيجة سياسة التوظيف القديمة لتى لم تكن تضع احتياجات العمل الفعلية فى اعتبارها، وطبقوا نظاما جديدا يرفع عن كاهل الشركات أعباء الخدمات الصحية والتأمينات باعتبارها مسئولية الدولة، وحولوا ديون الشركات إلى أسهم يتملكها الدائنون.

وعندما أجروا دراسة للشركات الخاسرة - رغم كل هذا - اكتشفوا أن سبب استمرار الخسائر هو عدم وجود التمويل الكافى، ونتيجة لذلك تعمل هذه الشركات بأقل من طاقتها الإنتاجية، وأخيرا بدأت الحكومة فى توفير لتمويل للشركات من أسواق المال الداخلية والخارجية.

أما شركات القطاع الخاص فقد حققت نجاحا كبيرا بعد التعديل الدستورى الأخير الذى تم فى العام الماضى، وقام القطاع الخاص بشراء بعض شركات القطاع العام التى كانت مشرفة على الإفلاس ولم تكن أصولها تكفى لسداد ديونها، وهم يضربون المثل دائما بأكبر شركة صينية لإنتاج المواسير لصلب واسمها شركة «هوانجيو» وعندما تم بيعها لعدد من شركات القطاع الخاص الصينية تحولت إلى الربح بعد أن كانت أكبر الشركات الصينية فى حجم الخسائر السنوية المستمرة.

ويقولون الآن إن أموال القطاع الخاص أصبحت مثل المياه التى تخمد حرائق القطاع العام، ولكن ما زالت المشكلة أمامهم حتى الآن هى الشركات صغيرة الحجم ذات القدرات التكنولوجية المتخلفة والتى تعانى من سوء الإدارة المزمن، فهذه يصعب إصلاحها ويبحثون عن الحلول.

□□□

فى الصين ٨ ملايين ونصف مليون شركة ومصنع. ٩٩٪ منها شركات صغيرة ومتوسطة مملوكة للدولة، وهى تحقق ٦٠٪ من إجمالى الناتج الصناعى وفيها ٧٥٪ من حجم العمالة، وهى لا تحقق فى مجملها أرباحا ذات قيمة؛ ولكنهم يرون ضرورة استمرارها لأن إنتاجها يؤثر فى الوضع الاقتصادى الكلى، ولأنها عنصر مؤثر فى استقرار المجتمع وهذا هو المهم. ولذلك يركزون على استمرار وإصلاح هذه المصانع المتوسطة والصغيرة لأن الشركات الكبيرة ستجد الحلول لمشاكلها وسوف تستفيد أيضا إذا انصلح حال هذه الصناعات الصغيرة.

الفكر الاقتصادى فى الصين يركز على إصلاح الشركات والمصانع الصغيرة والمتوسطة، ويقولون إننا مثل التلميذ فى الامتحان، من الأفضل أن يبدأ بالإجابة عن الأسئلة السهلة وبعد ذلك ينتقل إلى الأسئلة الصعبة فيجيب عنها بقدر ما يستطيع بدلا من أن يبدأ بالأسئلة الصعبة ويتوقف أمامها إلى أن ينتهى الوقت فى الامتحان فيضطر إلى تسليم ورقة الإجابة بيضاء.. ومن هذا الفكر يقولون إن بيع وإصلاح المصانع والشركات الكبيرة يحتاج إلى الأثرياء الذين يملكون أموالا طائلة، وما دام هؤلاء غير موجودين، وليست فى الصين فرصة لظهور النصابين ولصوص البنوك، فليس هناك حل إلا البدء ببيع المصانع والشركات الصغيرة التى يقدر على تدبير ثمنها أصحاب رءوس الأموال ورجال الأعمال، وبعد فترة سوف تزداد

ثرواتهم ويقدرون على شراء المصانع والشركات الكبيرة، وهـذا أفضـل من نقل ملكية المصانع والشركات الكبيرة للأجانب.

هدفـهم هـو انتقـال الملكيـة مـن القطـاع العـام إلى القطـاع الخـاص بـالتدريج، وبـالتوازى يعملـون فـى تكويـن رجـال أعمـال وطنيـين حقيقيـين، ورجـال صناعـة حقيقيـين، يسـتطيعون شـراء المصـانع والشركات الكبيرة بأموالهم وليس بأموال غيرهم..

□□□

الصين عالم كبير ومثير، ويسـتحق أن نـهتم بـه أكـثر ممـا نفعـل حتى الآن.. وفيه دروس وتجارب تفيدنا جـدا وإن كـانوا هـم الذيـن يحاولون الاستفادة من تجاربنا.

ومعهم حق فى العتاب..

نحن نحبهم، وهم يحبوننا.. ولكن الحب وحده لا يكفى.

جسر مع الصين

فى زيارتى للصين لمست من القيادات والمثقفين فيها اهتماما خاصا بما يجرى فى مصر.. ويتابعون ما يكتب فى الصحف المصرية.. وما يصدر عن دور النشر من كتب.. ولذلك أنشئوا أقساما لتعليم اللغة العربية فى الجامعات.. وترجموا كتبا من التراث الإسلامى القديم والأدب المصرى الحديث.

وفى شنغهاى التقيت بأستاذ كبير هو البروفيسور (تشو وى ليه) وهو «مستعرب» معروف فى الدول العربية باسمه العربى الذى يحبه «عبد الجبار» وهو رئيس أكاديمية العلوم الاجتماعية بجامعة شنغهاى للدراسات الدولية، ورئيس تحرير مجلة (العالم العربى) التى تصدر فى الصين منذ عام ١٩٨٠ باللغتين العربية والصينية.

وقد تلقى تعليمه فى قسم اللغة العربية بكلية اللغات الشرقية بجامعة بكين عام ١٩٧٨، واستكمل الدراسة فى جامعة القاهرة، وعمل بعد ذلك مدرسا للغة العربية وآدابها فى جامعة شنغهاى للدراسات الدولية ثم رئيسا لمركز بحوث اللغة العربية والحضارة العربية والإسلامية، وهو إلى جانب ذلك عضو مشارك فى مجمع اللغة العربية المصرى والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى القاهرة، وعضو مراسل للمجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن.

وقد ترجم الأستاذ تشو وى ليه (عبد الجبار) عددا من الكتب المصرية إلى اللغة الصينية منها روايات نجيب محفوظ ويوسف السباعى ويوسف الشارونى، وترجم أخيرا كتابين للدكتور حسين كامل بهاء الدين هما: «التعليم واستقبل» و «الوطنية فى عالم بلا هوية».

ويقول فى مقدمة هذا الكتاب إنه تلقى دعوة من السفير المصرى فى بكين الدكتور نعمان جلال إلى عشاء على شرف وزير التعليم المصرى الدكتور حسين كامل بهاء الدين، وهو يعرف السفير نعمان جلال كدبلوماسى محنك وأكاديمى فى الوقت نفسه، وشغله الشاغل دفع العلاقات بين مصر والصين: وقد تعلم اللغة الصينية هو والسيدة زوجته بمجرد وصوله إلى بكين واستعان بمدرس خاص، ويقول بعد ذلك: ونظرا لأنى شربت من ماء النيل فكان لابد أن أقوم بجهد متواضع فى مجال دفع العلاقات ولو حتى عن طريق الأفكار، وفى أثناء زيارة الرئيس مبارك للصين فى أبريل ١٩٩٩ وقعت الصين مع مصر بيانا لبدء تعاون استراتيجى بين مصر والصين موجه للقرن الحادى والعشرين، وأدى ذلك إلى تطور العلاقات وزيادة حجم التبادل التجارى والاقتصادى والتعاون الزراعى والسياحى والتعليمى.

ويقول الأستاذ عبد الجبار إنه قرأ كتاب «الوطنية فى عالم بلا هوية» فوجده نقطة ضوء فى جو عالمى معتم، ورأى أن له قيمة مرجعية، وحين زار مصر فى العام الماضى بدعوة من وزارة الإعلام

المصرية قابل عددا من الباحثين فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام وجامعة القاهرة، ومجمع اللغة العربية، كما شارك فى ندوات معرض القاهرة الدولى للكتاب وحصل من هذا المعرض على كتب قيمة للدكتور شوقى ضيف، والدكتور أنور عبد الملك، والأستاذ سيد ياسين، قرأها بعد عودته فوجد وجهات نظر المفكرين المصريين مشابهة لوجهات نظر المفكرين فى الصين، وليس هذا غريبا، فمصر والصين أقدم حضارتين فى التاريخ، وكلتاهما دولة نامية ومن الطبيعى أن تتفق رؤية لنخبة فيهما.

ويشير الأستاذ (عبد الجبار) أيضا إلى الدور الذى تقوم به السفارة المصرية فى بكين، والقنصلية المصرية فى شنغهاى فى تبنى مشروع لترجمة الكتب المصرية والصينية، وتسهيل الحصول على الموافقات من المؤلفين ودور النشر، وقد ترجم إلى الصينية أخيرا كتاب «عالمية الإسلام» للدكتور شوقى ضيف رئيس مجمع اللغة العربية وكتابى الدكتور حسين كامل بهاء الدين.

ومشروع إقامة جسر ثقافى دائم بترجمة الكتب بين مصر والصين ما زال فى بداياته، وكان السفير نعمان جلال فى أثناء عمله فى بكين يدفعه بحماس ويشجع على ترجمة الكتب المصرية إلى اللغة الصينية، ولكن مشروع ترجمة الكتب الصينية إلى اللغة العربية ما زال متعثرا، ربما لأنه لم يجد حتى الآن جهة تتبنى تنفيذه والإشراف عليه ورعايته، ونحن نعلم أن الصين - كما يجمع

المراقبون – سوف تكون خلال السنوات المقبلة إحدى القوى العظمى فى النظام العالمى الجديد بعد أن يتبلور ويستكمل تشكيله، ولذلك فإن توثيق علاقاتنا الثقافية معها، والتعرف على أحوالها والأفكار والاتجاهات السياسية والاقتصادية والتنموية والاجتماعية السائدة فيها ضرورى للاقتراب منها و لتعامل معها، ولقد لمست من المسئولين فى الصين اهتماما بالأفلام والكتب والتاريخ والآثار والسياحة فى مصر، ورغبة فى التواصل مع المثقفين فيها.. ومن مصلحتنا أن نلبى هذا النداء، ونمد أيدينا إليهم، لتزداد الروابط الثقافية بما يوازى نمو العلاقات السياسية بين البلدين، ونستفيد من التجربة الصينية التى يجمع العلم على أنها حققت معجزة.

دكتور السيد أمين شلبى

□ الصين ومصر : خبرات مشتركة

المتتبع للعلاقات الصينية المصرية على مدى قرابة الحقب الخمس الماضية سوف يستوقفه عدد من التجارب والخبرات المشتركة على المستويين الدولى والداخلى والتى تقدم أساسا متينا لعلاقات البلدين وإمكانيات تطورها.

وبداءة فلم يكن اعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية وإقامة علاقات دبلوماسية معها فى مايو عام ١٩٥٦ حدثا عاديا أو خطوة سهلة بمعايير الوضع الدولى آنذاك وعلاقات القوى فيه. فقد أقدمت مصر على هذه الخطوة فى وقت كانت تحتدم فيه المنافسة العالمية بين المعسكرين المتصارعين على النفوذ والمكانة فى العالم، وكانت الصين الشعبية بانضمامها إلى المعسكر الاشتراكى بزعامة الاتحاد السوفيتى قد أضافت له بحجمها البشرى وامكانياتها ثقلا دوليا واستراتيجيا. كما جاءت الخطوة المصرية فى وقت كانت فيه الصين الجديدة تتعرض لمقاطعة الولايات المتحدة ومحاولات حصارها وعزلها دوليا، ولذلك لم يكن غريبا ردود الفعل الغاضبة التى صدرت عن الولايات المتحدة تجاه الخطوة المصرية والتى رأى فيها جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكى دليلا أكثر على أن مصر (قد انضمت إلى معسكر العدو)، وفى اليوم التالى للخطوة المصرية أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية انها ستعيد النظر فى العلاقات المصرية الأمريكية، والواقع أنه حتى قبل قيام علاقات رسمية كاملة بين القاهرة وبكين فإن البلدين وزعامتهما قد التقيا حول رؤية مشتركة

للوضع الدولى وقواه وبشكل خاص حول تيار القومية الأفريقية الآسيوية الناهض والذى تبلور فى اجتماع باندونج فى أبريل عام ١٩٥٥. ويستوقف النظر أن يجد جمال عبد الناصر رجل الدولة الصينى الصاعد آسيويا ودوليا شواين لاى فى استقباله فى مطار رانجون فى ١٥ أبريل وهما فى طريقهما إلى باندونج. يستوقف النظر مدى الثقة التى تأسست بين لزعيمين خلال هذا اللقاء وبشكل يجعل جمال عبد الناصر يطلب من شواين لاى أن يجس نبض السوفيت حول تزويد مصر بالسلاح وهو الطلب الذى تساءل معه الزعيم الصينى بشكل كيس «إن كانت مصر مستعدة للتعقيدات التى ترتبها هذه الخطوة فى علاقاتها مع الولايات المتحدة والغرب».

وإذا تعدينا هذه الفترة المبكرة من استهلال علاقات مصر مع الصين الجديدة إلى المراحل التى تطورت فيها عبر علاقات الحرب الباردة بين القوتين العظميين عندئذ، فسوف نلاحظ عددا من التشابهات فى إدارة كل من مصر والصين لعلاقاتهما مع القوتين وما أخذته من أشكال وربما المواجهة أو إعادة ترتيبها وتوجيهها نحو التفاهم والتعاون.

فعقب تحقيق الصين الشعبية ثورتها عام ١٩٤٩ مرت بتجربة مريرة مع الولايات المتحدة على مدى ٢٥ عاما تبنت فيها واشنطن سياسة عدم الاعتراف ببكين والتهديد العسكرى والاحتواء السياسى والحصار الاقتصادى وانكار تمثيلها فى الأمم المتحدة، ولم يتراجع

هذا العداء إلا مع بداية السبعينات ومجىء إدارة نيكسون بإدراك لعقم سياسة تجاهل الصين، وكذلك فى إطار استخدام (الورقة لصينية) فى عملية إعادة ترتيب العلاقات الأمريكية السوفيتية فى نقلها من المواجهة إلى التفاوض، أما مصر فقد مرت بعد ثورة ٢٣ يوليو بعلاقات مضطربة مع الولايات المتحدة نتيجة لاختياراتها لمواقف مستقلة تعتمد على عدم الدخول فيما كان يراد للمنطقة من ترتيبات ونظم أمنية رآها قادة ثورة يوليو أنها ليست من أولوياتهم ولا تعكس التحديات الحقيقية التى تواجه منطقتهم. هذا فضلا عن بعث مصر للتيار العربى القومى ومضامينه المعارضة للتدخلات والنفوذ الأجنبى، غير أنه مثلما شهدت بداية السبعينات بداية تحول علاقات بكين مع الولايات المتحدة من العداء والخصومة إلى التلاقى والتعاون، كذلك بدأ التيار يتحول فى علاقات مصر مع الولايات المتحدة بعد عام ١٩٧٣؛ وبعد إعادة تقييم مصر لاختياراتها وتوقعها دخول المنطقة مرحلة جديدة تعتمد على الحوار والتفاوض وتقييمها للدور الأمريكى فى مثل هذه العملية.

أما على مستوى علاقات مصر والصين مع الاتحاد السوفيتى السابق، فثمة تشابهات يمكن للمتابع أن يرصدها، فبعد تحالف وثيق وشامل بين بكين وموسكو منذ بداية الخمسينات بدأت مع نهاية الحقبة مظاهر التشقق فى هذه العلاقة حول قضايا سياسية وأيديولوجية تتصل بدور موسكو فى توجيه وقيادة العالم الاشتراكى،

والتطبيق الاشتراكى ومفاهيم الماركسية اللينينية وقضايا الحرب والسلام، وامتلاك الصين لقوة نووية وخلافات على الدور. وكان جوهر هذه الخلافات هى رؤية الصين لنفسها وأنها أكبر من أن تستوعب أو توجه من قيادة أو مركز آخر، وهى الخلافات التى تطورت إلى مستوى الصدام العسكرى على الحدود فى مارس ١٩٦٩ ثم إلى المستوى الذى أصبح معه تصور الصين للتهديدات السوفيتية أكبر من أى تهديد آخر. وقد استمرت حالة التوتر فى العلاقات الصينية السوفيتية حتى مجئ جورباتشوف فى عام ١٩٨٥، ثم زيارته للصين ضمن سياسته الخارجية الجديدة وحاجته إلى توفير بيئة دولية وإقليمية سلمية وتعاونية لمشروعه فى إعادة بناء الاتحاد السوفيتى داخليا.

أما مصر وعلاقاتها مع الاتحاد السوفيتى فقد سجلت الفترة منذ منتصف الخمسينات حتى أوائل السبعينات مستوى عاليا من العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية. ورغم ظهور بعض الغيوم التى سبقت حرب أكتوبر إلا أن ذلك لم يمنع مصر من عقد اتفاقية تعاون وصداقة بين البلدين، ولم يمنع الاتحاد السوفيتى أن يخاطر بعلاقاته مع الولايات المتحدة بسبب دعمه السياسى والعسكرى لمصر. غير أن هذه المرحلة الإيجابية فى علاقة مصر والاتحاد السوفيتى شهدت تراجعا مع منتصف السبعينات وكان وراء هذا التراجع، من ناحية، تمسك مصر برؤيتها واختياراتها الخاصة فيما

يتعلق بشئونها الداخلية والإقليمية، ومن ناحية أخرى، تحفظات الاتحاد السوفيتى على اتجاه عملية السلام فى الشرق الأوسط خاصة أنها كانت تعطى ثقلا أكثر للولايات المتحدة فى توجيه شئون المنطقة وصياغة مستقبلها بعيدا عن المشاركة السوفيتية. وقد استمر هذا التراجع ووصل إلى حد القطيعة حتى عام ١٩٨٥ حين بدأت هذه العلاقات تأخذ اتجاها إيجابيا تقوم على المصالح المتبادلة واحترام اختيارات مصر وقد قوى هذا الاتجاه مجئ زعامة جورباتشوف فى الاتحاد السوفيتى وسياسته الجديدة خاصة تجاه الأوضاع والمنازعات الاقليمية والدولية، ومع الزعامة الجديدة فى مصر واتجاهها الواضح إلى إحداث توازن فى علاقات مصر الإقليمية والدولية وتصحيح الاختلالات التى حدثت فيها خلال السبعينات عربيا ودوليا. أما فى الأوقات التى اتجهت فيها القوتان العظميان إلى بث الاستقرار فى علاقاتهما وبناء علاقات وفاق وتعاون فإن كلا من مصر والصين قد رحبا بذلك وكلاهما اشترطا ألا يتم على حساب مصالح القوى الصغيرة والمتوسطة وألا يمثل هذا اتفاقا على الهيمنة على العالم (راجع موقف مصر من البيان المشترك لمؤتمر القمة الأمريكى السوفيتى عام ١٩٨٢ حول الشرق الأوسط).

غير أن الخبرات المشتركة لكل من مصر والصين لم تقتصر على الوضع الدولى وعلى إدارة علاقاتهما مع القوتين العظميين، وإنما يمكن القول إن البلدين ومنذ منتصف السبعينات تمران بتجربة تطوير

وإعادة تكييف نظمهما وسياساتهما الاقتصادية والاجتماعية بشكل يتجاوب مع تقيمهما لما وصلت إليه تجارب ومراحل النمو فيهما وكذلك مع اتجاه التطور فى القوى الاقتصادية والتكنولوجية العالمية. فمع نهاية السبعينات وفى ظل الزعامة الجديدة لدنج هسياوبنج بدأت الصين عملية عميقة الأثر اعتمدت على التحديثات الأربعة وفى إطار من الإصلاح الاقتصادى والسياسى واستفادتها من أدوات وأساليب اقتصاديات السوق جنبا إلى جنب مع إشراف الدولة والتخطيط الاشتراكى وتعدد قطاعات الاقتصاد فى منح الصين للرأسمال والمعرفة التكنولوجية الخارجية. وقد أدى هذا التحول إلى إحداث ما يشبه المعجزة الاقتصادية ومعدلات نمو وصلت إلى ١٠٪ وبلغت ١٣٪ فى بعض المناطق الساحلية. وأصبحت الصين ثالث اقتصاد عالمى وقوة تصديرية تقع فى المرتبة الحادية عشر فى العالم، واجتذبت ٤٠ بليون دولار استثمارات خارجية، غير أن هذا الإنجاز الاقتصادى لم يكن بلا ثمن خاصة على المستوى الاجتماعى والاستقرار، فقد صاحب هذا انتطور الاقتصادى ظهور جوانب سلبية بدت فى الفجوة بين الفقر والغنى على مستوى الأفراد ومستوى المناطق، وبين الريف والمدن، وفى ظل الإصلاحات الاقتصادية تجلت أوضاع الشركات الحكومية المريضة بديونها وعمالتها الفائضة وأوضاعها المالية الخاسرة، كما كانت من الأمراض الاجتماعية التى بدت مظاهر الفساد الإدارى والمالى التى طفت على المجتمع الصينى

ومؤسساته. وفى العاشر من نوفمبر من عام ٢٠٠١، قبلت الصين فى المنظمة العالمية للتجارة TWO وهى المنظمة التى أصبح من المتفق عليه أنها توجه وتدير العلاقات الاقتصادية والتجارية العالمية. وجاء انضمام الصين إلى المنظمة العالمية لكى يمثل قمة اندماجها فى الاقتصاد العالمى، ومثلما يحمل لها هذا الانضمام من فرص ووعود مثل تدفق الاستثمارات والتكنولوجيا العالمية وترشيد مؤسساتها الجمركية والمصرفية، فإنه يحمل أيضا مخاطر وتحديات وخاصة فى مجال العمالة ومصير شركاتها ومؤسساتها غير التنافسية.

أما فى مصر فقد شرعت كذلك فى منتصف السبعينات فى مشروعها لنقل اقتصادها من الاعتماد على التخطيط المركزى وإشراف الدولة وسيطرة القطاع العام إلى إدخال أدوات السوق وفتح الاقتصاد لمشاركة القطاع الخاص وجذب الاستثمارات والتكنولوجيا الخارجية. غير أننا لابد أن نلحظ اختلافا فى مستوى إنجاز هذا التطور فى كلا البلدين، فبينما حققت الصين إنجازا ملموسا فى معدلات التنمية وبناء القاعدة العلمية والتكنولوجية المستقلة، فإن هذا لم يتحقق بالشكل الكافى فى التجربة المصرية. أما أوجه التشابه بين التجربتين فتبدو فيما بدا أيضا فى الخبرة المصرية من ظهور تفاوتات اجتماعية واخطار البطالة ومظاهر من الفساد المالى والإدارى. هذا فضلا عن التعرض للتحديات التى يمثلها الاندماج فى الاقتصاد العالمى والمتطلبات والقواعد التى يفرضها الانضمام إلى منظمات مثل

منظمة التجارة العالمية، وشراكة مع بعض التكتلات كما هو الحال مع الشراكة المصرية الأوروبية.

دولتان لهما مثل هذا الرصيد من الخبرات والتجارب المشتركة، كان لابد أن تكون لهما رؤية استراتيجية مشتركة وهما مقبلتان على القرن الحادى والعشرين، وهى الرؤية التى انعكست فى البيان المشترك الذى صدر عن زيارة الرئيس حسنى مبارك للصين فى القرن من ٥-٩ أبريل عام ١٩٩٩ والذى تضمن الإعلان عن إقامة علاقات تعاون استراتيجى بين البلدين على المستوى الثنائى والدولى، فعلى المستوى الثنائى أعربت مصر والصين عن أنهما سيعملان على مواصلة توسيع التعاون الاقتصادى والتجارى. وتحقيق التكامل فى المزايا النسبية لكل منهما بما يجعل كلا منهما شريكا مهما للآخر فى مجال الاقتصاد والتجارة. ووعد الجانبان بالإسراع بالعمل فى مشروع المنطقة الاقتصادية الخاصة شمال غرب السويس فى مصر وغيرها من المشروعات المشتركة، وتشجيع الشركات والمؤسسات فى البلدين على تكثيف التعامل ودعم الاستثمار وتعزيز التبادل والتعاون فى المجالات الصناعية والزراعية والعلمية والتكنولوجية والسياحية وتقديم التسهيلات اللازمة للنشاطات الاقتصادية والتجارية المعنية التى تجرى بين الشركات والمؤسسات والهيئات العاملة فى هذه المجالات.

أما على المستوى الدولى فقد تطلعت الدولتان إلى إقامة نظام سياسى واقتصادى عالمى يقوم على أساس عادل ومنصف، يتعزز فيه التضامن بين الدول النامية والعمل على تضييق الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية، ودعم دور الأمم المتحدة وتوسيع عضوية مجلس الأمن على أساس من التوازن الإقليمى والجغرافى، وتحقيق سلام شامل وعادل فى المنطقة على أساس من قرارات الشرعية الدولية ومرجعية مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام وما تحقق من اتفاقيات. كما أكد الجانبان فيما يتعلق بالشرق الأوسط على المطالب و لمقترحات الخاصة بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل، كما أكد تأييدهما للدول الأفريقية فى سعيها للاستقلال والتنمية الاجتماعية الاقتصادية وناشدا المجتمع الدولى أن يولى القارة الأفريقية الاهتمام الواجب والمساعدة الاقتصادية.

والواقع أن هذه الرؤية المشتركة وجدول أعمالها تتطلب جهدا متصلا من أجهزة ومؤسسات ووزارات البلدين، واتصالا وتنسيقا منتظما بينها لنقل هذه الرؤية إلى الواقع وخاصة فيما يتعلق بعلاقاتهما الثنائية فى مجالاتها المختلفة ولكى ترقى هذه العلاقات إلى المستوى الممتاز لعلاقات البلدين السياسية.

الأستاذ شوقى جلال

- الصين والطريق الثالث
- معارك السلام بين مصر وإسرائيل على أرض الصين
- مصر والصين ومعالم التآخى الحضارى

الصين والطريق الثالث

اتخذت الصين منذ عام ١٩٧٨ موقفا تلخصه عبارة (الإصلاح والانفتاح) وتعنى الإصلاح الاقتصادى أساسا لتعبئة جهود الشعب على طريق النهوض فى إطار من مضاعفة الإنتاج والتنمية مع عدالة التوزيع والقضاء على التخلف وتأكيد استقلال لإرادة وتعنى أيضا الانفتاح على العالم والتعامل والتفاعل معه اقتصاديا وعلميا وتكنولوجيا ليكون الانفتاح أساسا للتطوير الصناعى والتكنولوجى والانتماء إلى العصر.

ولكن هل ترى الصين الآن فى دعوة الغرب بقطابه المتعددة إلى ما يسمى الطريق الثالث سببا لإعادة التفكير فى طريقها للنهوض وبناء مجتمع الصين كقوة اقتصادية سياسية علمية عالمية المستوى والمركز؟

جدير بالذكر هنا أن الصين منذ نجاح ثورتها عام ١٩٤٩ وضعت أربعة دساتير تصوغ فيها رؤيتها للتطور الاجتماعى وجوهر عقيدتها الاقتصادية والسياسية. جاء أول دستور عام ١٩٥٤ والذى أكد أن السلطة كل السلطة للشعب فى جمهورية الصين الشعبية وجاء الدستور الثانى للصين عام ١٩٧٥ وكان صيغة تعكس الفوضى اليسارية الطفولية للثورة الثقافية فى الصين. ولذلك نرى الكافة يسقطونه الآن من حساب التاريخ. وجاء الدستور الثالث عام ١٩٧٨ ويمثل امتدادًا للدستور الأول، وتصحيحا لأفكار أفرزتها الثورة

الثقافية. وأقرت السلطات المسئولة فى الصين الدستور الرابع فى ٤ ديسمبر عام ١٩٨٢ ولا يزال مطبقا حتى الآن وإن طرأت عليه بعض التعديلات فى عام ١٩٨٨ وعام ١٩٩٣، أى بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، ونهاية الحرب الباردة، وظهور سياسة النظام العالمى الجديد أو القطب الأوحد. وينص هذا الدستور على أن الصين تمر بأولى مراحل التحول الاشتراكى، ويقر سياسة الإصلاح والانفتاح طريقا للتطور. كما ينص فى الوقت ذاته على الالتزام بالفكر الماركسى اللينينى الماوتسى.

وهكذا تتجلى مرونة الفكر الصينى ومحاولة استيعاب أحداث ووقائع العالم دون التخلى عن الهدف الإستراتيجى للتحول الاجتماعى. أى أن الصين تلتزم طريقها المرسوم مع مرونة فى الحركة فى ضوء خبرات الواقع المحلى والعالمى. وترى فى الطريق الثالث اجتهادا غربيا فى محاولة لتصحيح أخطاء فى التطبيق الغربى، وتأسيسا على خبرة غربية تلخص واقع حياته ومشكلاته وطموحاته، ومن ثم فهو بعيد تماما عن الطريق الذى تستنه الصين. إنه تحول استراتيجى فى الفكر السياسى ليسار الوسط الغربى من حيث أسلوب حل مشكلات الغرب بما فى ذلك الأيديولوجيات والسياسات الغربية التقليدية.

ويعرض هذا الرأى ويوضحه المفكر الصينى لى وين Li Wen إذ يقرر أن اليسار واليمين فى الغرب كشفا على مدى القرن العشرين فى

سياستهما عن نوعين لفهم الرأسمالية. دعا اليمين لمحافظ إلى مبادئ السوق، بينما دعا اليسار، بأساليب مختلفة، إلى عدالة اجتماعية من خلال نظام اجتماعى لإعادة التوزيع سواء عن طريق التأميم أو توسيع قاعدة الرفاه الاجتماعى. وبدأت تظهر فى الثمانينات على أيدى مارجريت تاتشر فى بريطانيا ورونالد ريجان فى أمريكا نزعة محافظة جديدة ترتكز على فلسفة الفردية وتأكيد قتصاديات النقود Monetarism وجانب العرض. وهنا وجد اليسار الغربى نفسه إزاء مأزق اضطره إلى تغيير فكره وسياساته التقليدية. ومن ثم بدأ يميل تجاه اليمين أو الوسط مع مطلع التسعينات.

وهكذا ظهر فكر الطريق الثالث كنظرية جذرية جديدة نشأت وتطورت فى هذا المناخ. يحاول هذا الفكر تناول مشكلات الرأسمالية التى ظهرت مع نهاية الحرب الباردة خاصة المشكلات الاجتماعية المترتبة على النزعة المحافظة الجديدة، واشتمل أيضا على سلسلة من مشكلات جديدة ناجحة عن العولمة نذكر من بينها مشكلات عدم الاستقرار الاجتماعى ومشكلات تنظيم وضع الاقتصاد وأسواق المال، وتحديات تفرضها بلدان عدة ويفرضها المجتمع الدولى، والتغيرات التى طرأت على الهيكل الاجتمعى التقليدى والعلاقات الاجتماعية فى الغرب.

وأدت هذه المشكلات إلى ظهور أزمة للديمقراطية الرأسمالية برزت معها التناقضات بين العولمة والنظم الاجتماعية والسياسية للرأسمالية

وهاهنا اقترح الإصلاحيون فى أوروبا وأمريكا «تحديث الرأسمالية» وخلق البيئة الصحيحة لترويج فكرة الطريق الثالث. ولم يدخر كل من كلينتون وبلير جهدا للدعاية لهذا الفكر.

نشأ فكر الطريق الثالث الذى يمثله بلير، حسبما يفسره لى وين، فى كنف مجتمع معلومات يشهد ازدهارا لاقتصاد المعرفة والقسمة المميزة لهذا الفكر. إنه يعبر عن لاشتراكية الديمقراطية التقليدية. وتشير كلمة الديمقراطية هنا إلى النظام البرلمانى الديمقراطى فى ظل الرأسمالية وتشير الاشتراكية إلى جهود شرائح اجتماعية مختلفة من أجل بناء نظام اجتماعى قائم على التكافل ويتعارض فكره هنا مع الفكر التقليدى لحزب العمال البريطانى كما يتعارض مع ليبرالية السوق. ويثير مشكلة إعادة بناء الديمقراطية على نحو جديد، وإصلاح النظام السياسى للبلاد. ويعتمد هنا على تبسيط الإجراءات الإدارية وزيادة كفاءة دور الحكومة

ويشير الطريق الثالث هنا إلى إقامة نمط جديد من المجتمع المدنى حيث الملكية الخاصة حق للجميع ويؤكد فى الوقت ذاته على مبدأ الحيازة الخاصة للرأسمالية، ونبذ فكرة التأميم، وصون الملكية الخاصة، وتحسين الأوضاع الاجتماعية فى إطار النظام الرأسمالى من خلال العدالة الاجتماعية والكفاءة الاقتصادية.

ويضيف لى وين أن فكر الطريق الثالث يميزه وجه آخر هو مجتمع المعلومات. إذ أنه يعبر عن مصالح شريحة عريضة من الطبقة

الوسطى التى طفرت وظهرت على السطح. ويحاول هذا الفكر حل تناقضات طارئة فى المجتمع الجديد. من ذلك التناقضات بين التقدم التكنولوجى والعمالة، وكذا بين التنامى الفردى وسيطرة الدولة، وأيضا بين البيئة الطبيعية وزيادة التصنيع، أو التناقضات بين الدولة- الأمة وبين النزعة العالمية، وكذا بين النزاعات الإقليمية والأمن الكوكبى. لهذا كله يرى لى وين أن فكر الطريق الثالث هو امتداد طبيعى لفكر الاشتراكية الديمقراطية فى ثوب سياسة برجماتية أى سياسة تلتمس حلولا عملية آنية لقضايا ومشكلات طارئة دون الالتزام بنهج نظرى عام. ويمثل هذا الفكر، علاوة على ما سبق، مجموعة من الأفكار بشأن القيم ومناهج البحث التى تعبر عن حاجات ومتطلبات مجتمع المعلومات. ولم يكتمل بعد نضج هذا الفكر وإن تحددت معالمه العامة وتأسيسا على هذا، يذهب لى وين إلى أن فكر الطريق الثالث هو فى حقيقته اجتهاد يهدف إلى تحسين النظام الرأسمالى تلبية لاحتياجات غربية طارئة. ووجد هذا الفكر تطبيقا واضحا له فى حرب كوسوفا. ونراه فى هذه الحرب وأثناءها يدعو إلى نزعة تدخل جديدة فى الشئون الداخلية للبلدان الأخرى عسكريا.

لقد تغيرت الأوضاع الخارجية والداخلية المتعلقة بأمن بلدان الغرب مع نهاية الحرب الباردة، وبعد حل منظمة حلف وارسو. وهاهنا بدأت بلدان الغرب فى تعديل استراتيجيتها الأمنية مع

حرصها على إقامة ألية أمنية ووضع قواعد دولية جديدة يبدأ العمل بها مع مطلع القرن الحادى والعشرين.

وبناء على هذا الوضع طرح بلير، خلال حرب كوسوفا، نظرية جديدة بشأن المجتمع الدولى.. وترتكز هذه النظرية على مبادئ جديدة للحرب ضد ما يراه «ديكتاتورية». وتبرر نظريته أو قل نظرية الغرب، التدخل الدولى فى استقلال عن المنظمات الدولية. ويقال بهدف تزيين هذه النظرية إن حقوق الإنسان أسمى من السيادة القومية، وأنه لابد من فرض قيود وحدود على مبدأ عدم التدخل فى العلاقات الدولية السائد الآن عالميا. وهذا هو عين ما ذهب إليه جوسبان رئيس وزراء فرنسا فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى شهر سبتمبر ١٩٩٩ إذ قال: «إن رسالة الأمم المتحدة لا تقتصر على تسوية الصراعات بين الدول، بل إنها تمتد إلى الدفاع عن كرامة الإنسان داخل حدود كل دولة بل وتتدخل أيضا، إذا ما اقتضت الضرورة ضد الدول ذاتها» وهذه هى السياسة التى تطبقها إدارة كلينتون باسم الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق الأقليات فى دول الغير، ولكنها تطبقها على أساس انتقائى حسب مصالحها، وبصورة عملية ونشيطة عسكريا واقتصاديا ضد حقوق شعب العراق كمثال. وتعتمد صحف الغرب إلى ترويج فكر الطريق الثالث هذا على الرغم مما هو واضح للجميع من أن الغرب لم يكن معنيا بالمشكلات والمذابح العرقية وإنما يعنيه أولا وأساسا إقامة وترسيخ نظام دولى جديد يرتكز على قيم ومعايير تعزز مصالح الغرب ومكانته. ووجد

الغرب فى حرب كوسوفا فرصته لإعلان وترويج فكره الجديد، وترسيخ مبدأ الهيمنة تحت دعاوى جديدة.

وهذه الدعاوى ليست مرفوضة من حيث المبدأ ولكنها هنا ذريعة فى يد الأقوى وحق يراد به باطل. ويجرى تطبيقها فى مواقع عديدة، حسب المصلحة والاختيار فى ظل ما يسمى النظام العالمى لجديد أو العولمة التى تعنى سياسيا واقتصاديا هيمنة الأقوى.

إن فكر الطريق الثالث فكر غربى النشأة، غربى المحتوى، غربى الهدف، معنى بحل مشكلات وتناقضات المجتمعات الغربية التى تراكمت عبر التاريخ الحديث والمشكلات التى نشأت وبرزت مع ولادة مجتمع المعلومات فى الغرب. ويهدف هذا الفكر إلى إقامة نظام اقتصادى سياسى دولى لصالح الغرب ويدعم سوق المال الكوكبية. وإن من حق الغرب أن يفكر لنفسه وفق مصالحه، ولكن دون أن يصادر حق المجتمعات الأخرى فى أن تفكر لنفسها فى إطار خبراتها التاريخية وواقع مشكلاتها وأهداف مسيرتها.

ويرى لى وين ومعه مفكرون صينيون آخرون أن فكر الطريق الثالث بهذا المعنى يتناقض مع ما تنشده الصين وبلدان الجنوب عامة. ذلك أن هذه البلدان تقف مع حقوق الإنسان دون إخلال بحق السيادة القومية، وتقف مع فكر يرسخ مبادئ الاحترام المتبادل وعدم التدخل، ووحدة المعايير، وفاعلية المنظمات الدولية، والتعاون الدولى فى مجالات الحياة المختلفة على أساس من المساواة بين الدول.

معارك السلام بين مصر وإسرائيل على أرض الصين

قليل من يعرف أن الآباء المؤسسين لفكرة الدولة الصهيونية نشئوا خفية فى أحضان السلطنة العثمانية. وهكذا دأب الصهاينة على أن يلتمسوا لأنفسهم عشا فى كنف قطب سياسى قوى يكون ملاذا وحماية لهم وإن أخفوا عنه حقيقة نشاطهم، يقدمون هم له دعما معنويا فى صورة أفكار أو استشارات أو استخبارات عن الخصوم والأعداء فى الداخل والخارج، ويتلقون مقابل هذا دعما وتأييدًا لهم وحرية فى العمل لتنفيذ مخططاتهم السرية.

يفعلون هذا وعيونهم على الخارج ويتابعون الأحداث وحركة التاريخ وبندول القوى العالمية ليرصدوا قوة المستقبل وأقطاب الهيمنة المحتملين. وإذا ما استشعروا خطرًا يتهدد ملاذهم المختار الآمن، وعرفوا أن مآله إلى ضعف أو زوال هموا ورحلوا إلى قطب جديد وملاذ بديل سبق أن أنشئوا لأنفسهم مواطىء قدم فيه. ولكنهم فى جميع الأحوال يكونون قد ازدادوا قوة ومنعة وخبرة، رسخت أقدامهم بفضل حيلهم ومكائدهم وما يسدونه من خدمات استخبارية أو تجسسية، وعرفوا وجهتهم المستقبلية المحتملة حين تدول أو تزول دولة الملجأ.

هكذا رحل الصهاينة من تركيا الباب العالى إلى إنجلترا وفرنسا منذ نهاية القرن الماضى قبل أن يأفل نجم السلطنة واشتداد قبضة الهيمنة الأوروبية. وهكذا أيضا ومع صعود نجم الولايات المتحدة التمسوا لأنفسهم موقع قدم مع بداية القرن فى الأمريكتين بعامة والولايات المتحدة خاصة وعملوا على تنمية وتطوير بذورهم الأولى التى وفدت مع المهاجرين الأولين وازدادت أقدامهم رسوخا مع مرور الزمن حتى أصبحوا مركز قوة وتأثير سياسى واقتصادى وعلمى نطلق عليه عبارة اللوبى الصهيونى الذى تلتمس انتخابات الرئاسة تأييده ومساندته.

وأدرك الصهاينة بحساباتهم احتمالات التحول فى ميزان القوى العالمية، وما هى البلدان المرشحة مستقبلا لتُكون بين أقطاب القوى العظمى. اتجهت الأنظار إلى الصين إلى ربع سكان العالم ينطلقون بقوة وعزم على طريق التقدم، ويدرك الصهاينة حقيقة تاريخ مصر والصين وأواصر الصداقة، والعمق الحضارى بين البلدين ويدركون أيضا احتمالات التقارب، بل ولا ينسون للصين تأييدها المستمر لموقف الحق العربى الفلسطينى وأنها قاطعت إسرائيل طوال انتصافها للحق العربى.

ولكن إسرائيل طرحت هذا كله جانبا، أو تناسته، والتمست لنفسها سبلا أخرى لتعزيز علاقتها بالصين. عرفت أن الصين بعد سياسة الإصلاح والانفتاح سوف تطرق أبواب العالم، وأساسا

الولايات المتحدة الأمريكية، و ن العالم سوف يقبل عليها واعيا بمسيرة التنين الأعظم قطب المستقبل. وعرضت الصهيونية نفسها باعتبارها مالك مفاتيح التعامل وإلقبول واستثمرت إمكاناتها على الصعيد الدولى، وإمكاناتها الذاتية العلمية والتكنولوجية، وعرضت خدماتها على الصين.

رسمت إسرائيل سياسة التغلغل والاختراق حثيثا، وهى صاحبة خبرة تاريخية فى هذا المجال، وتحاول فى خبث ودهاء أن تلبى حاجة الصين للتنمية والتطوير، وأن تخاطب العقل العام لتكسب النظام والجماهير والشباب خاصة.

هذا هو ما نجده واضحا فى الصين الآن فى مجال علاقات إسرائيل الاقتصادية والتكنولوجية لمدنية والعسكرية وكذا فى مجال الثقافة والإعلام. وسوف أكتفى هنا بالإشارة إلى ساحة سباق ومنافسة بين مصر - العرب وبين ,سرائيل أنا وهى ساحة الثقافة والإعلام. إنها معركة سلمية حقا يبذل فيها الجانب المصرى جهدًا خارقا بالقياس إلى ما هو ميسر له من إمكانات وموارد ومخصصات. وحقق الجانب المصرى إنجازات ثقافية وإعلامية. من ذلك مثلا التصدى لمحاولات إسرائيل تزييف تاريخ مصر القديم، إذ أشرفت سفارتنا هناك على إصدار موسوعة النحت و لفن فى مصر الفرعونية تأليف الدكتورة وان غان التى حضرت إلى مصر والتقت بالعديد من أهل الاختصاص. وخرج الكتاب فى صورة فنية جيدة. هذا علاوة على

العديد من الكتب والنشرات التى صدرت بمناسبة زيارة الرئيس مبارك لبكين هذا العام. أذكر من هذه الكتب «الاستثمار فى مصر.. الواقع والمستقبل» و «إنجازات ١٨ سنة» ومجلة هيئة الاستعلامات على نحو دورى. أضف إلى هذا عددا من البرامج التليفزيونية والفضائية، ونشرة عن الدكتور أحمد زويل.

بيد أننا بحاجة إلى أن نعرف جهد وحصاد إسرائيل ومغانمها فى هذه المعركة حتى نعرف كيف نوازن، وكيف نجعل كفة الميزان راجحة لصالح الشعبين المصرى والصينى، وأن الأمر فى هذا كله يحتاج إلى أكثر من مضاعفة الموارد وتعدد المراكز والمكاتب.

ذلك أن سفارة مصر لدى بكين يقوم عليها رجل دبلوماسى متميز شديد الحنكة، ومفكر مستنير، ووطنى صادق العزم وصاحب بصيرة، يعرف حقيقة وخبايا الواقع المحيط به، والموقع لذى يعمل فيه. ويعاون سفيرنا الهمام الدكتور محمد نعمان جلال مسئولان عن الثقافة والإعلام يبذلان تحت إشرافه وبرعايته جهدًا يفوق طاقتيهما لتوضيح رأى مصر ورؤيتها، وتبليغ فكرها.

أنشأت إسرائيل عدة مكاتب للتمثيل الدبلوماسى الثقافى والإعلامى والتجارى والصناعى والعسكرى فى عدد من المقاطعات وليس فى العاصمة بكين وحدها. وآثرت أن تكون لها مكاتبها فى مقاطعات الجنوب والغرب أى فيما يمكن وصفه بمناطق التوتر أو التخلخل بعيدًا عن المركز.

وحيث إن حديثنا مقصور على الثقافة نقول وشرعت إسرائيل فى مخاطبة العقل العام.

لا تكف مكاتب إسرائيل المتعددة والمنتشرة فى أنحاء مختلفة عن الاتصال التليفونى بالمسئولين فى العاصمة أو فى المقاطعات تطلب إقامة معرض للكتاب أو التراث أو الفنون.. الخ ويقولون فى أدب مصطنع وكياسة خبيثة نحن نعرف أن الصين دولة نامية لذلك نحن على استعداد لأن نتحمل جميع نفقات المعرض من إيجار لمكان العرض، وأجور للعاملين، ونفقات إقامة وسفر ودعاية.. الخ وهكذا لا يمضى شهر إلا ونجد معرضا ما لإسرائيل فى هذه المقاطعة أو تلك ويقبل عليها الصينيون المتعطشون إلى المعرفة وإلى التفاعل مع الشعوب.

واتجهت إسرائيل إلى الترجمة وسيلة للحوار والاختراق وترجمت عشرات الكتب إلى الصينية. لم تقتصر على الأعمال الأدبية بل اشتملت على جميع الدراسات التى تصوغ عقلا متعاطفا مع إسرائيل. أذكر من بين هذه الكتب: أغانى القدس - لمحة عامة عن إسرائيل- مجموعة قصص إسرائيلية (الأرض المحروقة) - سلسلة مختارة من أعمال كتاب إسرائيليين - سياسة إسرائيل الخارجية - موجز التاريخ اليهودى - الزراعة فى إسرائيل - المزرعة النموذجية لإسرائيل فى الصين - القدس (حياة الشعب والفن المعمارى) - تنمية مصادر المياه فى إسرائيل - الكنيست - البحر الميت - الكيبوتز..

متى وأين؟ - الإبداع فى التكنولوجيا الإسرائيلية = دليل الشركات التجارية الإسرائيلية المتعاونة مع الصين.

وتتحمل إسرائيل كامل نفقات الترجمة والطبع والنشر. وهكذا استثمرت أموالها فى سبيل صوغ عقول صينية تمنحها التأييد وليكون لها حضور بحيث تذكر اسم إسرائيل فيعرفها جميع الشباب. تبذر إسرائيل الحب وتعرف أن الحصاد بعد سنوات وأن لكل زارع نصيبا بقدر جهده.

إنها معركة من معارك السلاء على الصعيد الدولى. ونحن لن نستطيع أن نغزو القلوب والعقول إلا بقدر ما نخاطب المصالح العامة للدول، وبقدر ما نعبىء من جهد وعزم صادقين، وبقدر ما لدينا من عطاء. نحن لا ينقصنا الذكاء فى التخطيط، ولكننا بحاجة إلى بحث مصارف طاقاتنا ومواردنا وأن نعزز هذه الطاقات فى أرض معارك المستقبل. والصين بلد صديق منذ أقدم عصور التاريخ، وهى قلب مفتوح للعرب.. وسفارة مصر وسفيرنا ذو الهمة، الذى لا يكف عن الحركة، ويبذل الجهد بغير حدود هو مثال للعزم الصادق والوطنية الخالصة والفكر الواضح.. إن سفارة مصر وعلى رأسها مثل الدكتور محمد نعمان جلال تملك القدرة التخطيطية والذكاء الفعال للنجاح فى سبيل تأكيد الحضور المصرى الثقافى والإعلامى على أرض الصين والسفارة والسفير ومعاونوه طليعة فهل نوفر لقائد معارك السلام الموارد والمخصصات الكافية والوافية لضمان النجاح.. إنها معارك السلام والمستقبل.

مصر والصين
ومعالم التآخى الحضارى

تقول حكمة صينية «إذا لم تقارن فأنت لا تعرف». وسبيلنا لكى نفهم ونعرف أنفسنا على نحو أفضل، بعد أن نستوعب واقعنا دراسة وتحليلا علميا نقديا، أن نعرف الآخرين أيضا. ذلك أننا جميعا يضمنا سياق كوكبى واحد متفاعل ومتبادل التأثير، وأن نقارن ونسلط الأضواء على حضارات وتاريخ وثقافات وواقع الشعوب. ونحن بحاجة – توخيا لشمول النظرة وتعدد أبعادها وزواياها – إلى أن نتخلص من إسار النظرة إلى الغرب وحده، وزعمه، من منطلق المحورية الغربية أنه الحضارة، والتقدم، والإبداع، وأن عنده ومعه نهاية التاريخ.

حرىٌّ بنا أن نتجه بأبصارنا أيضا إلى الشرق. ذلك أن واقع أحداث التاريخ يؤكد أن بندول التفوق الحضارى فى حركة تبادلية دائمة شرقا وغربا، وتؤكد جميع الرهانات الفكرية على الصعيد العالمى الآن أن الشرق، الشرق الأقصى وجنوب آسيا، على طريق الصعود. ولقد كان الشرق، أقصاه وأدناه قديما، مهد حضارة أو حضارات تعلمت منها البشرية، وحققت على هديها إنجازاتها،

وارتقت بفضلها سلم التقدم والتفوق، واستطاعت أن يطّرد وجودها وتبنى موطنها على نحو أفضل.

وطبيعى أنه جرى هذا كله فى إطار من صراع المصالح الأنانية والأطماع المجتمعية أو الفردية وليس صراع حضارات، فلقد كانت الغزوات ضد مصر على مدى تاريخها الطويل ليست صراع حضارات بل كانت أطماعا فى خيراتها وميزاتها جغرافية كانت أم اقتصادية.. ولم تكن الغزوات ضد الصين على مدى تاريخها أيضا من قبيل صراع الحضارات بل طمعا فى خيراتها.. ولم تكن الصراعات بين القبائل داخل شبه الجزيرة العربية قديما أو داخل أفريقيا أو أوروبا صراعات بين حضارات متباينة بل صراعات تستهدف أطماعا ثأرية ومعنوية أو مادية.

وحرىٌ بنا أن نستكشف أوجه التماثل أو التناظر بيننا وبين بلدان الشرق الصاعد.. أوجه التماثل فى الخصائص أو الثقافة وأحداث التاريخ وانعكاساتها على الإنسان/المجتمع؛ وكذلك المسار التطورى للمجتمعات راهنا ومستقبلا. ذلك لأننا دون ريب على طريق واحد فى محاولة التخلص من أثقال الماضى والرغبة فى ارتقاء درج التطوير الحضارى، وبناء مجتمعاتنا وفق سياق ومستوى حضارة العصر.. العلم والثقافة.

وإذ نحاول أن نرى الصين بعيون مصرية فإن هذا يعنى أن نرى ونتأمل وندرس بعقل علمى ناقد حضارة الصين، وحضارات العالم،

فى تطورها وتفاعلاتها، فى نهضاتها وعثراتها، ونستكشف جاهدين أسباب ذلك وفى خلفية أذهاننا مصر.. حضارة، وتاريخا، صعودا أو هبوطا، نهضة أو كبوة. وهدفنا أن نفهم أنفسنا فى قضايانا المثارة، ومنطق حركة التاريخ لكى نسترشد، إذا عقدنا العزم على أن نرسم طريقا للمستقبل وأن نخطو على طريق النهضة.

سوف نرى ونحن نتأمل وندرس تاريخ الصين نقاطًا أو مواضع توازن وتناظر بين مصر والصين.. فى التاريخ القديم والحديث. وسوف نجد أنفسنا قسْرًا نتساءل فى مواضع كثيرة وعند فوارق عديدة: لماذا؟ ليس فقط بالنسبة للصين ولكن أيضا بالنسبة لأمم أخرى شاركتنا عراقة التاريخ مثلما شاركتنا أحداث المعاناة من غزو أجنبى أو طغيان داخلى، وعوامل محلية وأخرى خارجية فاقمت من أسباب التقاعس والتخلف والتحول إلى فريسة سهلة، ثم قبول التحدى عند البعض دون البعض والصراع من أجل البناء والبقاء. سوف نجد على سبيل المثال أن اليابان فى أواخر القرن التاسع عشر سعت لكى تفهم كيف تكون النهضة من خلال تجارب أمم عديدة من بينها مصر.. وسوف نلاحظ أن اليابان اطردت مسيرتها وتقدمت ونهضت، ولكن مصر حاولت ثم تعثرت. وهنا يلح علينا التساؤل لماذا؟ ويحل القرن العشرون، ومع مطلع القرن تبدأ فى مصر حركات فكرية وسياسية واقتصادية لنهضة مصر.. ونجد فى تناظر لهذا حركات صينية فكرية وسياسية واقتصادية تسعى للنهضة بالصين.. وتعثرت المحاولتان..

ثم انتفضت الصين بعد عقود وبدأ التنين مسيرة التقدم والنهضة.. ويعود ليلح علينا السؤال لماذا نحن وماذا هم؟

بين مصر والصين فى التاريخ أوجه تماثل أو تناظر من حيث الخصائص الاجتماعية المتمثلة فى الثقافة الاجتماعية وطبيعة الاقتصاد، ونظام الإنتاج، والموقف من الآخر ومحاولات البناء والدفاع عن الذات وصد إغارات الأعداء.

ولعل من أبرز الخصائص المشتركة التاريخ الحضارى القديم؛ كل من مصر والصين تاريخيا مجتمع زراعى مستقر قانع بحياته، مكتف بذاته، وإنما يؤرقه عدوان الآخرين. طمعا فى خيراته. لم تنزع مصر أو الصين تاريخيا إلى شن حروب أو غزوات عدوانية، وإنما الهم الأول والأساس صد إغارات الأعداء الطامعين المحيطين بالبلاد وتأمين الحدود.

ونجد من بين الخصائص الثقافية الاجتماعية البارزة التماس الحكمة فى صورة مأثورات عن السلف سواء أنبياء أم حكماء. وكذلك الإيمان بأن كتب السلف وعاء الحكمة الأمس واليوم وغدًا. ولهذا يسود اعتقاد بأن التقدم هو استعادة عصر ذهبى مضى. وساد بين الصينيين منذ القدم اعتقاد بأن ثقافتهم أسمى الثقافات، وأن الصين هى مركز العالم أو كما كانت تسمى المملكة الوسطى. وأفضى هذا الاعتقاد إلى ترسيخ صفات مميزة أهمها العزلة الثقافية النسبية بين الصين وغيرها من المجتمعات. وليست الصين استثناء فى هذا إذ أن

الشعوب المختلفة اعتادت دائما أن تصور نفسها وكأنها هى الحضارة المثلى وهى أم الدنيا وغيرها دونها مستوى. ويرى كل مجتمع فى هذا سبيلا لدعم انتمائه والدفاع عن ذاتيته أو هويته.

والصين شعب متجانس تعود حضارته إلى أربعة آلاف عام وهو التاريخ المدَّون. وأكدت الاكتشافات الأثرية ظهور الإنسان الأول الذى عاش واستقر فى الصين منذ قرابة مليونى عام. وظهر إنسان بكين قبل ٤٠٠ أو ٥٠٠ ألف سنة. واكتشف الباحثون هيكلَ وجمجمةَ هذا الإنسان عام ١٩٢٧م. وتميز بأنه معتدل القامة، عرف النار، وصنع الأدوات البسيطة. وتكونت أول أسرة حاكمة فى القرن الواحد والعشرين ق.م. وهى أسرة شيا التى سادها نظام عبودى. وامتد عصر الأسرات المتفرقة قرونا إلى أن جاء عصر يُعَدُّ علامةً مهمة فى تاريخ الصين الحضارى يعادل عصر توحيد القطرين على يد مينا. ونعنى بذلك عصر الممالك المتحاربة أو عصر الربيع والخريف من ٧٧٠ إلى ٢٢١ ق.م. وهذه الممالك هى مملكة شن Chin فى الشمال الغربى، ومملكة شو فى الجنوب فى منطقة وادى نهر اليانجتسى، ومملكة شى. انتصرت مملكة شى على منافسيها وأقامت إمبراطورية الصين الواحدة عام ٢٢١ ق.م. وتحققت فى عهدها إنجازات مهمة عسكرية وزراعية واقتصادية. إذ فى عهدها تطورت الزراعة وتحسنت وسائل الرى، واتسع نطاق النشاط التجارى. وتم كذلك توحيد نظام الكتابة والأوزان والمكاييل والمقاييس والعملة ووضع التقويم السنوى. ويرجع

إلى هذه الأسرة بناء سور الصين العظيم عن طريق ربط الأسوار القديمة المحيطة بالولايات. وأدى اتساع النشاط التجارى إلى إنشاء طريق الحرير الذى ربط الصين بشرق المتوسط والإمبراطورية الرومانية.

وشهد هذا العصر إنجازات فكرية وأكاديمية صاغت وبلورت الفكر أو الذهن الصينى. وعرف هذا العصر مشاهير الحكماء والمفكرين ممن أسسوا مدارس فكرية متمايزة ولكنها جميعها تعبر عن جوهر الروح الصينية. وعكف حكماء العصر على تأليف الكتب وطرح آرائهم للحوار ومناقشة أمور السياسة والحكم والأوضاع الاجتماعية. وتميزت هذه الحقبة على الرغم مما سادها من صراعات وفوضى بروح التسامح الفكرى وتعدد الآراء. وذاع آنذاك المبدأ الذى استعاده ماوتسى تونج (دع مائة زهرة تتفتح ومائة مدرسة فكرية تتبارى). وكان الهم الأول لحكماء العصر هو تحليل أسباب الفوضى والاضطرابات والحروب ووضع أسس حكم سليم يحقق التناغم الاجتماعى ويضمن وحدة البلاد. التمسوا بفكرهم وحكمتهم سبيلا للخلاص كل حسب اجتهاده. وعبروا عن اعتقادهم ورؤيتهم فى صورة حكم ومأثورات أو صيغة السؤال والجواب.

واشتهر هذا العصر من حيث النشاط الفكرى باسم عصر المدارس الست وكان لكل مدرسة أعلامها من المفكرين، ومنهجها فى النظر إلى الأمور. وأبرز حكماء هذا العصر كونفوشيوس أو كونج فو تسو ٥٥١ - ٤٧٩ ق.م. وأيضا لاو تسو فى القرن السادس ق.م. وتنسب

إليه الطاوية. ومنشيوس ٣٧٢ - ٢٨٩ ق.م وهو من أبرز حواريي كونفوشيوس، وزميله هسون تسو (٣٠٦ - ٢١٢ ق.م). ومو تسو (٥٥١ - ٤٧٥) صاحب مدرسة المووية.

وأهم مدرستين تتناوبان السيادة الفكرية في الصين على مدى التاريخ هما الكونفوشية والطارية حتى يمكن أن يقال إنهما وجهان متلازمان. ولكن الكونفوشية ذات طابع إيجابي إذ تقدم السلوك في حالة الفعل المتجه إلى الخرج وتسود في عصور الازدهار. أما الطاوية، وهي العقيدة الشعبية، فتسود في عصر الطغيان والاستبداد والركود إذ تدعو المرء إلى الانسحاب إلى داخل ذاته وترك الأمور تجرى في أعنتها دون تدخل. وتتفق الطاوية في هذا مع البوذية ولهذا تداخلتا معا أو هيأت الطاوية أرضا لدخول البوذية إلى الصين في مطلع التاريخ الميلادي. وتمثل الكونفوشية عقيدة وشريعة إذ أنها نظام سياسي وتشريعي وأخلاقي ووعاء دين وقيم، أو هي بلغتنا دنيا ودين. وعرفت الكونفوشية شأن أية عقيدة أو مذهب- تأويلات متباينة على مدى التاريخ. فكانت حينا أداة دعم لإيجابية السلوك ونهضة المجتمع في عصور الازدهار، وكانت حينا آخر أداة شديدة المحافظة والجمود تدعم نظم الحكم وطغيان الحكام.

وعلى الرغم مما عانته الصين من حروب وغزوات إلا أنها احتفظت بخصائصها الثقافية، وحافظت على تماسكها الاجتماعي وشخصيتها الواحدة مما هيأ لها أن تحقق إنجازات حضارية مشهودة وغير مسبوقة. وظلت الصين قرونا طويلة مركزًا من أهم

المراكز الحضارية فى العالم. وامتد نفوذها السياسى والثقافى عبر منطقة واسعة خلال القرون الأولى الميلادية. ويمكن القول إجمالا إن الصين وحتى القرن السابع عشر الميلادى، أى قبل تدخلات الغرب وغزواته، كانت نمطا متميزا متصاعدًا فى التعليم وفى الثقافة والمعارف والتقانة. ويصفها البعض بأنها كانت آنذاك أعظم مهندس هيدروليك. وأن من أهم إنجازاتها على مدى تاريخها وحتى بدايات الغزو الغربى ثم اليابانى:

١ - اختراع الكتابة فى عهد أسرة شانج ١٥٢٣ - ١٠٢٨ ق.م.

٢ - اختراع التقويم السنوى لقياس الزمن مع تقسيم الأسبوع إلى عشرة أيام والسنة عدة دورات كل دورة ستون يوما.

٣ - صناعة الخزف الذى بدأت مع الإنسان الأول فى صورة أوان فخارية.

٤ - ابتكار الساعة المائية عام ١٠٨٦م.

٥ - المحراث الحديدى فى القرن السادس الميلادى الذى ساعد على توسيع الرقعة الزراعية وزراعة الأرض طَوَال السنة ومن ثم زيادة النشاط التجارى.

٦ - المنسوجات ومن أهمها الحرير، وابتكار دولاب الغزل فى القرن ١٣.

٧ - استعمال الطاقة المائية فى القرن الثامن الميلادى.

٨ – السفر عبر المحيط قبل أوروبا بقرون وابتكار البوصلة حوالى عام ٩٦٠م.
٩ – صناعة الورق والحديد الصلب قبل أوروبا بعشرة قرون.
١٠ – الطباعة بحروف متحركة فى القرن السابع وقبل أوروبا بستة قرون.
١١ – صناعة البارود واستحداث صناعات كيميائية لعمل متفجرات شديدة علاوة على سلاح المنجنيق والقوس والنشاب.
١٢ – فنون الطب التقليدى الدى أصبح موضع دراسة علمية من جديد.

وقام الصينيون منذ القرن الرابع ق.م. بمشاهدات وبحوث منظمة فى الفلك والرياضيات والطب والبصريات والسمعيات وعلوم طبيعية مختلفة. ورسم علماء الفلك الصينيون خرائط فلكية لمواقع حوالى ٨٠٠ نجم. وسجلوا ظواهر فلكية معقدة عن تقدم الاعتداليين. وصاغوا قواعد التنبؤ بحالات الكسوف.

ولا يسع المرء هنا إلا أن يتذكر جهود المصريين القدماء فى مجال علم الفلك كمثال والتى نجدها واضحة فى آثارهم كما نجدها مسجلة فى موسوعة الفلك الحجرية، أعنى رسوم آثار معبد دندرة، كذلك علوم الطب والتقويم السنوى وغير ذلك وهذه جميعها إسهامات شاركت فيها المجتمعات ذات الحضارات العريقة فى بابل وآشور وغيرهما. ونذكر أيضا جهود علماء الحضارة العربية من أمثال ابن الهيثم فى البصريات والخوارزمى فى الرياضيات.. الخ.

ويذكر ايمانويل كاستل فى كتابه «عصر المعلومات» أن الصين كانت فى القرن الرابع عشر على بعد مسافة شعرة واحدة من الثورة الصناعية إذ بدأت آنذاك النبتة الأولى للرأسمالية. ونذكر هنا كذلك ما أشار إليه الدكتور عماد أبو غازى فى دراسة له بالغة الأهمية تحت عنوان جذور أزمة النهضة فى مصر. يؤكد أن مصر، فى عصر المماليك الجراكسة فى القرن الرابع عشر بدأت أولى خطواتها الواعدة للاقتراب من طريق التحول من الميركانتيلية إلى حضارة الصناعة. ولكن الغرب أجهض محاولات الصين وسد أمامها السبيل، وأجهض العثمانيون محاولات مصر.

وتمثل علاقة الغرب بالصين ملحمة أخرى ذات وجهين متناقضين من حيث الإيجابيات والسلبيات فى الصراع بين أطماع الاستعمار وجهود أمة للنهوض ورد الاعتبار. بدأت الصين تواجه علوم الغرب منذ أربعة قرون مع وصول المبشرين الجيزويت عام ١٥٢٨. وعرفت الصين التى عاشت قرونا فى عزلة ثقافية شيئا أو أشياء عن النهضة الأوروبية والنظرة إلى العالم الطبيعى. وقبلت الصين ما ارتضته من معارف رأتها نافعة لها، وردت ما عدا ذلك من منطلق الشعور بالتميز.

ومثلما كان للغرب الحديث تأثيره على مصر كذلك كان له تأثيره على الصين من حيث الأطماع الاستعمارية وأيضا ما كشف عنه من قدرات عسكرية طاغية ومظاهر تقدم علمى وتقانى أو ما اصطلح على

تسميته الحداثة الغربية. ومثلما أفرخت هذه التأثيرات جهودا فى مصر لتطوير المجتمع فكريا وعلميا وثقافيا كذلك الحال فى الصين. وهكذا شهد البلدان أحداثا خارجية متماثلة تستهدف تاريخ البلاد وثرواتها وذاتيتها القومية ومرقعها الجغرافى. وظهر هنا وهناك مفكرون ومصلحون. ودارت هنا وهناك معارك فكرية عن التقليد والتجديد، أو الأصولية والمعاصرة، وعن دور التراث الثقافى أو التأويل العقائدى السائد ومسئوليته عن التخلف والهزيمة. وبدأت ثورة على انتأويل الكونفوشيوسى السائد آنذاك والمعروف باسم الكونفوشية الحديثة. ووضح للجميع أن هذا التأويل أفقد الكونفوشية دورها الأصيل كقوة إصلاح اجتماعى وجعل منها طقوسا وقرابين وشكليات.

ونذكر من بين أعظم المصلحين فى القرن الثامن عشر تاى تشن ١٧٢٤ – ١٧٧٧م. ويذكرنا هو وملاؤه بالمصلحين الدينيين من أمثال جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ومن قبلهما الشيخ حسين العطار ورفاعة الطهطاوى. يرى تاى تشن أن قراءة كتب السلف لا طائل من ورائها ما لم يدرس الإنسان ما يتعلمه منها بهدف علاج أدواء العالم. وذهب إلى أن الكونفوشية الأصيلة تدعم النظرية العلمية إذ تؤكد دور الخبرة والمشاهدة. وكانت دعوته منطلقا لدراسات نقدية تاريخية فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعمل على تطوير فلسفة هدفها إصلاح المجتمع.

وفى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شهدت الصين مثلما شهدت مصر حركة فكرية نشطة، ودعوة للتحديث، وحوارا حول منهج ونموذج التحديث. هذا علاوة على الحوار الساخن تحت عنوان التجديد والتقليد فى التراث الثقافى الاجتماعى. وأول زعماء الإصلاح فى الصين فى مطلع القرن العشرين كنج يو وى ١٨٥٨ - ١٩٢٧. دعا إلى العودة إلى الأصول، إلى وجه كونفوشيوس الأول الذى قال: «اعرف حكمة القدماء وعايش العصر». استوعب كانج متطلبات العصر، وسعى إلى الملاءمة بين جوهر الصين (الكونفوشية) وبين إنجازات علوم وتقانة الغرب. وكان السؤال «أيهما أحب إليك كونفوشيوس أم الحقيقة؟» وكان الجواب «كونفوشيوس أحب الحقيقة ودعا إلى الالتزام بها». وهذا يشبه قولنا حيث المصلحة فثم شرع الله دون تحجر أو حرفية أو جمود.

وشهدت الصين أيضا خلال النصف الأول من القرن العشرين جماعات ومدارس فكرية قدمت اجتهادات متميزة فى مجال المصلحة، ويمثلون معا حركة نهضة سياسية وفكرية. ومن أعلام هذه المرحلة لو هسون ١٨٨٠ - ١٩٣٦ وشن تو هسيو ١٨٧٩ - ١٩٤٢ ولى تا شاو ١٨٨٩ - ١٩٢٧. ويماثل هؤلاء جماعة الانسكلوبيدين فى أوروبا، كما يماثلون جماعات فكرية فى مصر ضمت أعلاما فى مجال الفكر والأدب والسياسة والثقافة العلمية والإصلاح الدينى. ويؤمن هؤلاء جميعا بالتطور وتقدم الحياة الاجتماعية والثقافية. وقدموا للمجتمع الصينى إنجازات العلوم الاجتماعية والطبيعية.

وبدأت حركة قوية للترجمة، مثلما حدث فى مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين. وتمت ترجمة أعمال مشاهير الكتاب والمفكرين والفلاسفة فى الغرب قديما وحديثا، من أمثال أرسطو وسقراط وإقليدس وآدم سميث وجون ستيوارت مل، وشارلس داروين، وهربرت سبنسر، وروسو، وتولستوى، وهكسلى وهيكل. وهذا هو ما حدث فى مصر أيضا وكان حافزا لحركة ثقافية قومية تدعم النهضة. وعرفت الصين على أيدى مفكريها ومثقفيها الذين درسوا فى الغرب وتؤرقهم هموم بلدهم، وسعوا إلى نهضتها مذاهب وفلسفات عديدة مثل فلسفة شوبنهور وهيكل وكروبوتكين ونيتشه وبرجسون.. الخ وقصدت بعثات من الطلاب الصينيين بلدان أوروبا والولايات المتحدة للدراسة، وهؤلاء هم الذين قادوا حركة فكرية تدعو إلى تحديث الصين. وأفرزت حركتهم ثورة وطنية بزعامة صن يات صن..

ووفد إلى الصين مفكرون وفلاسفة غربيون. نذكر على سبيل المثال الفيلسوف البريطانى برتراند رسل الذى ألقى سلسلة محاضرات فى جامعة بكين عام ١٩٢٠. وكذلك ألقى الفيلسوف الأمريكى جون ديوى سلسلة محاضرات عام ١٩٢١ فى أنحاء مختلفة فى الصين. وراجت مع هذه الجهود فى الصين أفكار عن الديمقراطية كما راجت مذاهب الواقعية الجديدة والبرجماتية وكذلك الماركسية. وكان للفكر الماركسى دور أكثر عمقا وتأثيرا وامتدادا. وتجلى هذا فى ثورة الحزب الشيوعى بزعامة ماوتسى تونج ضد حزب الكومنتانج الذى

استسلم للغرب. وأعلنت الثورة الجديدة قيام جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩.

ولكن النظام الجديد اتخذ موقفا سلبيا متطرفا أول الأمر من التقليد. إذ أغفل حقيقة الامتداد التاريخى الثقافى الاجتماعى فى صورته المتطورة، كما قطع الصلة الحضارية والمعرفية معا بين الموروث والجديد. وبلغ هذا الموقف ذروته فى مأساة ما عرف باسم الثورة الثقافية التى استمرت عشر سنوات وانتهت بهزيمتها فى أواخر الثمانينات. ووعى الحزب الحاكم الدرس. واقترنت ثورة التصحيح بزعامة دنج هسياو بنج بالإصلاح فى مجالات عدة متكاملة منها الثقافة كامتداد حضارى تاريخى حى متطور ومتجدد، علاوة على الإصلاح فى الاقتصاد والإدارة.. الخ. وتجلت هنا عملية الاستعادة الإبداعية للتراث الثقافى بحيث يكون قوة دعم ودفع وتماسك للنسيج الاجتماعى فى التجديد الثورى للمجتمع والخطو قدما على طريق النهضة والبناء..

ويبين هنا أن القطيعة مع الماضى هى قطيعة معرفية وليست قطيعة حضارية. إذ أن المعرفة متطورة أبدًا مع تطور فعالية الإنسان/المجتمع من أجل بناء نفسه. وأن القول بامتداد المعرفة يفضى إلى القول بالعودة إلى الماضى حيث الأصل. هذا بينما الحضارة عملية ممتدة تاريخيا ومتطورة أبدا لنسيج الشخصية وفى حالة تغذية متبادلة بين الرصيد المعبر عن الشخصية وبين الجديد من الإنجازات

المعرفية والعلمية والتقانية. وتمثل هذه التجربة درسا تفيد به المجتمعات التى لا تزال تؤرقها قضية التقليد والتجديد، وتظن خطأ أن القطيعة المعرفية مع القديم تعنى انسلاخا عن الذاتية. وواقع الحال أن التطوير الإبداعى للتراث الثقافى والبناء الحضارى الجديد هما مصدر قوة الذات الاجتماعية وأداة فاعلة للحفاظ على الهوية وتطويرها والارتقاء بها ومن ثم قدرتها على مواجهة تحديات الموروث فى صوره المتخلفة، وكذا تحديات المفروض على المجتمع من منافسات حضارية ومن عدوانيات خارجية.. إن معالم طريق الاستعادة الإبداعية للتراث، حسمًا لقضية التجديد والتقليد، إنما تتحدد مقتضياتها وشروطها وعناصرها واتجاهها حيث يكون المجتمع فاعلا نشطا منتجا حتى لا يضرب فى عماء ولا يدور الحوار فى فراغ.

السفير دكتور محمد إبراهيم شاكر

□ الصين كما شاهدتها : انطباعات زائر

منذ الصغر والصين تشدنى بحضارتها القديمة لتى تزامنت مع حضارتنا المصرية القديمة دون أن يلتقيا إلا فى زمن لاحق بعد ازدهار التجارة بين العالم العربى والشرق الأقصى.

زرت هونج كونج مرتين، الأولى عام ١٩٦٢ و لثانية عام ١٩٨٢ وذلك خلال الإدارة البريطانية لها وقبل عودتها إلى الدولة الأم عام ١٩٩٧ وقد شاهدت في حفل خاص بلندن خلال عملي هناك سفيراً لمصر فى بريطانيا ومع عدد كبير من المسئولين البريطانيين انتقال السلطة من بريطانيا إلى الصين وذلك عبر الأقمار الصناعية وعلى شاشات التليفزيون الكبيرة ولحقت بها بعد مكاو التي كانت واقعة تحت السيطرة البرتغالية، ولم يتبق الآن إلا تايوان التي تطالب الصين بعودتها إليها حتى يكتمل شمل الأسرة الصينية. وقد عانت الصين طويلاً من تقطع أوصالها واحتلال أراضيها. وقد سعدت سعادة خاصة كمصرى عانى وطنه طويلاً مما عانت منه الصين عندما عادت إليها كل من هونج كونج ومكاو. كما زرت بكين لأول مرة في عام ١٩٩٧ زيارة رسمية لم تدم أكثر من يومين لإجراء الاتصالات اللازمة ودون أن تتاح لى الفرصة لزيارة معالم بكين التاريخية الهامة ومنها المدينة المحرمة وسور الصين العظيم.

وبعد مرور أكثر من سنة على إنشاء المجلس المصرى للشئون الخارجية وتوليت رئاسة مجلس إدارته اتصل بى السفير/دكتور محمد

نعمان جلال، سفيرنا المقتدر فى بكين آنذاك وهو عضو بمجلسنا الموقر، مقترحًا إقامة علاقات بين مجلسنا والمجلس الشعبى الصينى للشئون الخارجية بما في ذلك تبادل الزيارات بين المؤسستين . وقد رحب مجلس إدارة المجلس المصرى بذلك ولم تمض أسابيع إلا وقد اتصل بنا الدكتور/ نعمان جلال لينقل لنا أنباء الترحيب الكبير للمعهد الصينى لإقامة علاقات معنا . وبدأ المجلس المصرى يستعد لاستقبال وفد زائر من المعهد الصينى، إلى أن وصلتنى دعوة شخصية من المعهد الصينى لحضور مؤتمر يعد له المعهد عن الصين والعالم فى مستهل القرن الجديد بى والألفية الجديدة ويعقد فى بكين خلال شهر سبتمبر ٢٠٠١ وتحضره شخصيات عالمية مثل د. بطرس بطرس غالى، سكرتير عام الأمم المتحدة السابق وهيلموت كول، المستشار الألمانى السابق وجيسكار ديستان، رئيس الجمهورية السابق لفرنسا وهنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق وزيجنيو برزنسكى مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى الأسبق كارتر وغيرهم من رؤساء حكومات وشخصيات عامة مرموقة. وقد طلب منى التحدث من رؤية مصرية للصين والعالم فى القرن الجديد. ورحبت على التو بهذه الدعوة وإن كنت قد اقترحت أنه ربما بدأ المجلس المصرى للشئون الخارجية بزيارة الصين قبل زيارة الوفد الصينى لمصر وذلك لإتاحة الفرصة لأعضاء وفد مجلسنا حضور المؤتمر المذكور أيضًا بالإضافة إلى زيارة أنحاء الصين المختلفة وإجراء

محادثات مع المعهد الصينى. وقد راقت الفكرة للمعهد الصينى وبدأنا نستعد للزيارة خلال سبتمبر ٢٠٠١.

وتساءلت حينذاك، كيف لنا أن نستعد لهذه الزيارة ونحن بصدد بلد عريق له جذور عميقة فى التاريخ مثيلة لجذورنا ويمر بفترة تحديث كبيرة تنقله إلى مصاف الدول العظمى، وتذكرت تساؤل دبلوماسى إفريقي عندما رشحت مصر لإحدى المناصب الهامة فى إطار الأمم المتحدة عما يمكن أن يقوله أو يفعله لمساندة بلد قديم قدم الزمن.. ووجدت نفسى أتساءل بدورى عن الصين، البلد القديم قدم الزمن.

صادفت زيارتنا للصين احتفال البلدين بمرور ٤٥ عامًا على إقامة العلاقات الدبلوماسية بينهما وكذلك بمرور ٨٠ عامًا على إنشاء الحزب الشيوعى الصينى، كما جاءت الزيارة بعد مرور أسابيع على اختيار الصين لإقامة الألعاب الأوليمبية عام ٢٠٠٨ مما كان له أوقع الأثر لدى الشعب الصينى ومصدر فخر واعتزاز له. إن قرار اللجنة الأوليمبية الدولية له مغزى سياسي كبير ويحمل في طياته تأكيد المكانة المرموقة للصين فى عالمنا المتنامى في مستهل هذا القرن وتوقع دور محورى للصين فى بلورة النظام العالمى الجديد.

وفى الحقيقة تختلف الصين إلى حد كبير عن عدد من الدول الكبرى الأخرى فى أنها لا تسعى للهيمنة ولا تتدخل فى الشئون

الداخلية للدول الأخرى، كما أنها لا تتوقع مكاسب سياسية لما تقدمه من مساندات ومعونات للدول النامية التي تتعاون معها. لذا فهي تنأى عن وصف نفسها بالدولة الكبرى أو العظمى بل وعلى لسان مسئوليها تتوقع لنفسها أن تكون مجرد دولة متوسطة القوة عام ٢٠٥٠ أى بعد ٥٠ عامًا من الآن! قد لا يتفق البعض مع هذا الوصف المتواضع والحكيم، لكن هكذا تريد الصين رغبة منها فى تجنب الصراعات أو الدخول فى تحالفات لا تتفق مع طموحاتها فى تطوير الذات بتؤدة وحرص وبعيداً عن المفاخرة والمباهاة، فهي غير مستعدة الآن للدخول فى الساحة الدولية بكل ثقلها، وربما تفعل ذلك بعد ربع قرن إذا ما استكملت جميع قواها الذاتية.

ولكن الصين لن تستطيع أن تتنصل من الأرقام والإحصاءات المتوفرة عن اقتصادها النامى بخطوات سريعة فمتوسط حجم الناتج القومي بين عامى ١٩٨٩ و ٢٠٠٠ كان ٩,٧٪ كما أن حجم تجارة الصين بلغ ٤٧٤ بليون دولار عام ٢٠٠٠. كما بلغ الاستثمار الأجنبى المباشر فى الصين فى الفترة من ١٩٩٦ - ١٩٩٩ حوالى ١٢٦ بليون دولار وحيث بلغ حجم الاستثمار لأجنبى الكلى ٣٥٠ بليون دولار. إن إتمام إجراءات انضمام الصين لمنظمة التجارة العالمية ومقرها جنيف يمكنها من لعب دور عالمي وفعال فى هذا المجال، وليس من المستبعد أن تنضم الصين لمجموعة الثمانية الكبار G-8 بعد أن انضمت روسيا لها مؤخراً.

إن الصين ليست فقط قوة اقتصادية، بل هى أيضًا قوة عسكرية لا يستهان بها ولكنها فى نظرى قوة للدفاع عن النفس، وكانت الصين أول من تعهد من الدول الحائزة على السلاح النووى بعدم استخدام هذا السلاح كضربة أولى ضد الآخرين. وكان تفجيرها للسلاح النووى في ١٦ أكتوبر ١٩٦٤ - وهو يوم لا أنساه إذ إن ١٦ أكتوبر هو يوم مولدى - مصدرًا لإعجاب كبير من الدول النامية التى اعتبرته تحديًا كبيرًا من دولة نامية تجاه الدول العظمى المالكة لهذا السلاح وكذلك كان دليلاً قويًا على التطور التقني فى الصين التى ستكون على أتم الاستعداد لنقل التقنية إلى شقيقاتها من الدول النامية، ولكن دون المساهمة أو المساعدة فى انتشار الأسلحة النووية.

ومع التقدم للصين فى مجال الأسلحة النووية إلا إنها من الدول الرائدة والعاملة بجدية وصدق للتخلص من الأسلحة النووية شريطة قيام الآخرين بذلك فهى تؤيد عالما خاليا من هذه الأسلحة.

إن أهداف الصين الرئيسية الثلاثة هى التحديث وتوحيد الدولة الأم والمحافظة على السلم العالمى وشحذ التنمية المشتركة، وكما يلاحظ فإن الهدفين الأولين يتصلان بالداخل فبالنسبة للتحديث تسير الصين بخطى سريعة والتحديث بالنسبة لها لا يعنى الانتقال من مجتمع زراعى إلى مجتمع صناعى وإنما التفوق فى مجال التقنية للحاق بثورة التقنية في الغرب. يضاف إلى ذلك ما شاهدناه من لمسات حضارية فى البناء والتشييد والتصميم الخلاق والمبتكر للمبانى وخاصة فى شنغهاى التى تعد بدون مبالغة متشابهة إلى حد كبير مع

جزيرة مانهاتن فى مدينة نيويورك . ومن الأمور المذهلة أن كلاً من تايوان وهونج كونج وماليزيا يساهمون بشكل كبير فى الصورة البراقة.

إن توحيد الدولة الأم يعنى استعادة تايوان وانضمامها للدولة الصينية. والصينيون لا يمانعون فى احتفاظ تايوان بنظام خاص فى إطار الدولة الصينية كما هو الحال بالنسبة لهونج كونج وهو ما يصفونه بدولة واحدة ونظامين بل يمكن أن يكون لتايوان نظام مختلف عن نظام هونج كونج بعض الشيء ونجد من يردد مقولة دولة واحدة وثلاث أنظمة One State, Three System. وخلال زيارة وفد المجلس المصرى للشئون الخارجية لبكين حرصًا على توضيح أننا نؤيد صينًا واحدة من منطلق أننا نحن – المصريين – نعرف معنى الوحدة منذ أكثر من خمسة آلاف عام. وقد أعربنا عن أملنا أن تتخلى تايوان عن موقفها المائع والمتردد في الانضمام للدولة الأم مثل هونج كونج ومكاو. كِلْنَا المديح للصين بسبب رغبتها فى حل هذا الوضع سلميا.

إن حل مشكلة تايوان سيفتح الطريق للصين للتركيز بشكل أكبر على علاقاتها بجيرانها في شمال آسيا، بل والعالم بأسره. فنجد العلاقات مع روسيا واليابان وكوريا الجنوبية تنمو إلى الأفضل، كما لعبت الصين دوراً فى التقريب بين الكوريتين. وبالنسبة لآسيا بصفة عامة نلاحظ التقارب الجديد بين الصين والهند وبما أن سكان

البلدين يمثلون ثلث سكان العالم فإن الاستقرار فى العلاقات بين البلدين لا شك سيسهم بشكل كبير فى العمل على استقرار العالم بأسره... إن علاقات الصين مع الهند والباكستان يمكن أن تسهم فى الحد من آثار انتشار السلاح النووى إلى هاتين الدولتين، بل ومنع الانتشار إلى دول أخرى بالقارة الآسيوية.

وبالنسبة لعلاقات الصين مع الولايات المتحدة عبر المحيط الهادى فهى متنامية ولم تفت الفرصة على الرئيس بوش في لقاء القمة الآسيوية الباسيفيك APEC فى شنغهاى فى أكتوبر لدعم هذه العلاقات وإن كان يجب القول أن الولايات المتحدة تعتمد أساسا على اليابان شرقا والهند غربا للحد من النفوذ الصينى الصاعد واحتوائه.

وبالنسبة لمشاكلنا في الشرق الأوسط، فإن الصين متعاطفة مع القضية الفلسطينية وتؤيد إنشاء دولة فلسطينية مستقلة ومواقفها العلنية جيدة ولكنها تنأى عن لعب دور أكثر نشاطا للتقريب بين طرفى النزاع أو التقدم بمبادرات للحل تاركة لغيرها القيام بهذا الدور. وقد شجعنا المسئولين الصينيين خلال زيارتنا لبكين على أخذ زمام المبادرة وعدم الاكتفاء بالتصريحات العلنية.

إن البيان المشترك المصرى – الصينى الصادر فى أعقاب زيارة الرئيس مبارك للصين فى أبريل ١٩٩٩ أقر إقامة علاقات استراتيجية

مع الصين: وهذا ما حدث. إذ أكدت زيارة الرئيس مبارك للصين فى يناير ٢٠٠٢ أهمية هذا التعاون الاستراتيجى والانتقال به إلى آفاق جديدة.

إن زيارة وفد المجلس المصرى للشئون الخارجية كجمعية أهلية مستقلة توخت تعميق التعاون بين جمعيتنا والجمعيات الأهلية الصينية. بل وتعميق التفاهم بين الشعبين.

ويمكن القول إن زيارة وفد المجلس للصين تضمنت عدة أنشطة مختلفة هى:

- محادثات مع المعهد الصينى الشعبى للشئون الخارجية تناولت الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط وشمال شرق آسيا حيث شرح الجانبان موقفهما من القضايا التى تواجهها وكان التركيز من جانبنا على القضية الفلسطينية والصراع العربي-الإسرائيلى. وكان التركيز من جانبهم على العلاقات مع الولايات المتحدة وروسيا واليابان.
- لقاءات مع المسئولين الصينيين فى وزارة الخارجية وخاصة نائب وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط والبرلمان الصينى حيث التقينا بنائب رئيس لجنة الشئون الخارجية .
- لقاءات مع عديد من المعاهد الصينية الأخرى كمعهد شنغهاى للدراسات الاستراتيجية وكان مديره يحضر مؤتمر الصين والعالم فى القرن الجديد وكذلك الجمعية الصينية للتفاهم الدولى حيث التقينا بالنائب الأول لرئيس الجمعية بدار السفارة المصرية.

- زيارة معالم بكين الهامة ومنها سور الصين العظيم والمدينة المحرمة وزيارة شيان العاصمة القديمة للصين فى جنوب غرب الصين وموقع اكتشافات أثرية هامة فى نهاية القرن الماضى ثم مدينة شنغهاى.
- مؤتمر الصين والعالم فى القرن الجديد حيث ألقى الضوء على التقدم الكبير الذى أحرزته الصين فى جميع المجالات واكتشفنا من خلاله الجهود العظيمة التى تبذلها الصين لتطوير الغرب وهو ما يذكرنا أيضا باتجاه الأمريكيين غربا للكشف عن تطوير الجانب الغربى من الولايات المتحدة. كما كان المؤتمر فرصة فريدة للتعرف على تقييم بعض القادة فى العالم لدور الصين ونموها، وكانت أغلب التعليقات إيجابية، وإن كان البعض قد لاحظ بكل صراحة أن التقدم الاقتصادى الذى أحرزته الصين فى ظل سياسة اقتصادية متحررة لا يتواكب مع الجمود السياسى وسيطرة الحزب الواحد على الحكم. وفى رأى بعض لقادة الصينيين أن تغيير النظام السياسى فى بلد به ١٣٠٠ مليون نسمة إلى نظام يسمح بالتعدد الحزبى سينتهى إلى فرط عقد الصين وتفككها . وأعتقد أن تجربة الاتحاد السوفيتى وتفككه ماثلة فى أذهانهم.

خلاصة القول أن الصين أبهرتنا إلى الحد الذى ندعو إلى أهمية تبادل الزيارات على مختلف المستويات ونحن نسعى لأن يعرفوا أوجه التقدم الذى أحرزناه فى كافة المجالات وكذلك بطموحاتنا بالنسبة لمستقبل مصر والمنطقة.

الأستاذ محمد سيد أحمد

- قبل زيارة ثانية للصين
- شانجهاى.. نيويورك.. والحرب ضد الإرهاب

قبل زيارة ثانية للصين

بدأت أمس الأول زيارة للصين، مع وفد من المجلس المصرى للشئون الخارجية.. زرت الصين مرة واحدة قبل هذه المناسبة منذ ٢٨ عاما، فى أعقاب ما عرف وقتذاك، بـ «الثورة الثقافية».. كنا بصدد وفد رأسه محمد حسنين هيكل.. وقد التقينا بشو إين لاى.. وأذكر أن هيكل قال لى، قبل اللقاء بالزعيم الصينى الكبير: «عِدَّ نفسَك، لأننى سأطلب منك أن توجه سؤالا إلى شو»..

ظللنا نحاور الزعيم الصينى طوال ثلاث ساعات، فى بهو كبير كان يعقد فيه شو اجتماعاته مع كبار الزوار.. وفجأة وجدتُ «هيكل» وقد التفت إلىّ، وقال لشو: «معنا هنا فى الوفد صديق للسوفيت، ويهمنى أن يوجه إليك سؤالا».. وفجأة شعرت بأذنىّ وكأنهما قد أصبحتا بلون النبيذ الأحمر.. فكان معروفا وقتذاك أن ألدّ أعداء الصين هو الاتحاد السوفيتى.. فكيف يتواجد صديق للسوفيت فى قلب عاصمة الصين؟.. بل وفى عقر دار شو إين لاى شخصيا؟..

ومع ذلك تمالكت ووجهت لسؤال التالى.. «قلت: ليس من شك فى أن ثورتكم الثقافية البروليتارية الكبرى حدث كبير، جدير بالدراسة المتمعنة.. ولكن تساءلت وقد أنجزتم ثورتكم الاشتراكية البروليتارية عام ١٩٤٩ باستيلائكم على الحكم بعد نضال طويل..

فكيف تفسرون الحاجة إلى ثورة اشتراكية بروليتارية ثانية؟.. هل سبب ذلك هو أن الصين دولة اشتراكية، أو السبب هو أن الصين دولة ما زالت نامية؟»..

وقد علق شو إين لاى بقوله: «سؤالك مهم، ولكن قبل الإجابة عليه، أريد أن أسألك: هل قرأت كتاب ماو عن التناقض»؟.. ثم كتابه عن «التناقضات فى صفوف الشعب»؟.. قلت نعم.. وأشرت إلى ما ورد فيهما بشأن «التناقضات العدائية»، و«التناقضات غير العدائية» داخل صفوف الشعب.. ففهم بذلك أننى كنت قد قرأت الكتابين بالفعل.. وانطلق فى شرحه.. قال: لماذا تفترض أنه وارد فى مجتمع معين أن تتكرر الثورة البرجوازية عدة مرات، ثم إن الثورة الاشتراكية ينبغى ألا تحدث إلا مرة واحدة؟»..

وانطلاقا من هذه البداية، أسهب فى الشرح.. قال: «إن فرنسا، على سبيل المثال، قد شهدت ثورة برجوازية فى ١٧٨٩، وفى ١٨٣٠ وفى ١٨٤٨، فضلا عن كومِيونة باريس فى ١٨٧٠.. ثم تندهش لأن الصين قد شهدت هى الأخرى أكثر من ثورة؟..

لقد اندهشت لأنك انطلقت من افتراض أن الثورات البرجوازية لا تقضى على النظام الطبقى، بينما الثورة الاشتراكية تقضى على هذا النظام.. ومن هنا فلا حاجة إلى أكثر من ثورة اشتراكية واحدة..

غير أن الأمور ليست بهذه البساطة.. وبالذات فيما يتعلق بالمجتمعات النامية، التى لم يتبلور فيها بعد الصراع الطبقى فى

مختلف أبعاده.. ومن هنا الحاجة إلى أكثر من ثورة.. حتى لو كنا فى ظل سلطة اشتراكية، وفى إطار دولة اشتراكية.. إن المجتمع ما زال مجتمعا ناميا، وبالتالى فأكثر من ثورة شىء وارد »..

ثم استطرد شو وتحدث عن موضوعات أخرى.. تحدث عن الفوضى الدولية، لا عن الفوضى التى صاحبت الثورة الثقافية وحدها.. وتحدث عن العلاقة المتوترة بين الاتحاد السوفيتى وبين الصين الشعبية – التى ما زالت مجتمعا ناميا، والتى كان لابد لها من ثورات بروليتارية ثقافية متتابعة، كى تهز البيروقراطية التى أعادت تشكيل نفسها باستمرار، وأعاقت التنمية، وتهدد بإبقاء المجتمع رهن التخلف..

وكان الملفت للأنظار أن التناقضات العدائية افترض أنها تناقضات تفرزها فقط المجتمعات البرجوازية بصفتها مجتمعات تحكمها التناقضات الطبقية.. ومع ذلك ووجهنا بحقيقة أن الصين والاتحاد السوفيتى دولتان نسبت كل منهما إلى نفسها أنها دولة اشتراكية، تخضع لسلطة اشتراكية.. ومع ذلك، نشأ بينهما تناقض عدائى!.. ما تفسير تردى الحال إلى حد سيطرة قوانين الرأسمالية، لا قوانين الاشتراكية، على العلاقات بينهما؟..

أتذكر ما حدث منذ نصف قرن، عندما انتصرت الثورة الاشتراكية فى الصين، عام ١٩٤٩، باحتلال الشيوعيين عاصمة الصين بيجينج.. حدث بعد ذلك أن زار ماو موسكو، ومكث فيها مدة

طويلة اقتربت من العام.. لقد تخيلنا وقتذاك أن هذا اللقاء الممتد كى يكتسب ماو خبرة السوفييت فى إقامة الدولة الاشتراكية..

ولكننا نعلم الآن أن خلافا حادا قد نشب منذ ذاك الوقت بين ماو وستالين.. كانت مقتضيات الثورة الاشتراكية فى ظروف الدولة النامية الصينية، تختلف نوعيا عن مقتضياتها فى دولة اشتراكية أخرى - روسيا - لها هى الأخرى سمات المجتمع المتخلف، ولكن فى وضعية داخلية ودولية مختلفة نوعيا..

تحدث ماو وستالين وقتذاك عن «العلاقة الوطيدة التى لن تنفصم أبدا بين الدولتين الاشتراكيتين العظميين، الاتحاد السوفيتى والصين».. لم يكن متخيلا ما حدث بعد ذلك.. والخلاف الذى اتخذ صفة علنية بالتدريج، بالذات فى لستينات.. وقد بلغ الذروة مع الثورة الثقافية..

واليوم نشهد تقاربا جديدا بين روسيا والصين.. وفى زيارة للزعيم الصينى الحالى جيانج زيمين إلى موسكو، وقع اتفاقا مع الرئيس بوتين، علما بأن روسيا لم تعد تدعى أنها دولة شيوعية، وعلما بأن الشيوعية الصينية إنما تعترف بأن الذى يميزها هو اشتراكية ذات سمات صينية خاصة.. لم تعد تنفى لا روسيا ولا الصين أن هناك تناقضات عدائية تنال من نسيج مجتمعيهما.. ومع ذلك، ولأول مرة، لم تعد العلاقات بينهما تتسم بصفة التناقض العدائى!..

إن الأساس الأيديولوجى للعلاقة قد اختفى.. ولكن الأساس الأيديولوجى المشترك (الانتماء إلى الشيوعية) لم يكن فى المرة السابقة سببا كافيا لاختفاء التناقضات العدائية بين الدولتين.. هل بوسع الدولتين – ولم تعد القاعدة الأيديولوجية المشتركة قائمة – إقامة علاقة أكثر ثباتا وتماسكا مما كان الحال من قبل؟.. هذا ربما من الأمور التى لابد أن تستوقفنا خلال هذه الزيارة الجديدة للصين الآن..

إن تساؤلا شغلنى كثيرا وقت لقائى مع شو إين لاى، هو: هل يتعين اعتبار شو منفذا عبقريا لسياسة ماو، أو أن شو كان له هو تخطيطه الخاص، وكان هو ذاته صانع سياسة مستقلة عن تلك التى كان يدعو لها ماو؟..

لقد قلت لنفسى بعد لقائنا مع شو إن شو منفذ عبقرى لسياسة ماو.. ولكن الآن أعتقد أننى أخطأت.. فقد أثبت التاريخ أن شو كان شيئا مختلفا.. كان شو قد تبنّى، وكان له الفضل فى حماية، ثم ترقية، دينج سياو بينج، وإعادته إلى مقدمة المسرح، علما بأن دينج كان أحد أبرز ضحايا الثورة الثقافية..

كان «شو» قد تولى على الدوام دور حامى «الدولة الصينية» بينما كان «ماو» يرتاد أبعاد «الثورة الصينية».. وشتان ما بين هموم الدولة وهموم الثورة.. إن الثورة تعرض الدولة لاهتزازات متجددة، بينما

هموم الدولة هى الهموم التى تبحث عن الثوابت، وعن المحظورات التى لا ينبغى المساس بها..

وأذكر تعرفى ذات مرة منذ أكثر من عشرين عاما فى ندوة بيوجوسلافيا على مناضل صينى عانى الأمرّين من ويلات الثورة الثقافية.. كان ذلك بعد وفاة شو وماو، وبعد انتصار دينج على «عصابة الأربع» الذين هيمنوا على الثورة الثقافية، وشملوا زوجة ماو، ودمغوا خصومهم بـ «اتباع لطريق الرأسمالى»، أخطر جريمة كان يمكن ارتكابها وقتذاك.. أذكر كيف تحدث هذا المناضل الذى كان للتو قد خرج من السجن بعد تعرضه طوال سنوات لصور شتى من التعذيب والإهانة والإذلال.. وقد عبر بكل صراحة عن كراهيته لماو، بينما مجد شو، ووصفه بمنقذ الصين.. كان الصراع الداخلى بالغ الحدة، يفوق كل ما كان يمكن تصوره من الخارج، وتعبيرا عن تناقض عدائى يطغى على كل شىء آخر..

والآن نشهد لقاء جديدا بين الرئيسين الصينى والروسى على غير أرضية الأيديولوجية، وإنما على أرضية الواقعية، وباسم قضية الاستقرار والسلام.. لقد تعرضت التجربتين الاشتراكيتين للفشل.. وسلمت القيادة فى الدولتين بضرورة إدخال إصلاحات جذرية.. كان هناك من جانب السوفيت عملية «بيرويسترويكا» التى قادها جورباتشوف.. وأعطى للإصلاح السياسى الأولوية على الإصلاح الاقتصادى.. ولكن كان مآل هذه التجربة سقوط الاتحاد السوفيتى،

وانهيار التجربة الاشتراكية الروسية كلية.. أما الصينيون، فقد بدءوا إصلاحاتهم بنبذ الثورة الثقافية وشعارها القائل بأن ألد أعداء الثورة هم «أتباع الطريق الرأسمالى»، وأجروا إصلاحات اقتصادية مع عدم تعريض الهيكل السياسى للتجربة الصينية لتغييرات أساسية، ومع عدم التخلى عن الانتساب إلى الاشتراكية والشيوعية.. ومن هنا، فلا مجال للحديث عن أساس مشترك للقياس، انطلاقا من الأوضاع الداخلية فى الدولتين..

إن وجد هناك أساس مشترك، فينبغى البحث عنه فى الأوضاع الدولية.. وفى إصرار إدارة بوش الأمريكية على السير قدما إلى الأمام بتجربتها الخاصة بإقامة درع واق من الصواريخ المضادة للصواريخ.. وهى تجربة يراها الروس والصينيون معا نقطة بداية لسباق تسلح من نوع مبتكر..

لم تعد التجربة الروسية تنسب نفسها إلى الشيوعية، بينما تواصل التجربة الصينية الانتساب إليها.. هل لهذه الحقيقة أهمية فى تقييم واشنطن للمصالحة الراهنة بين روسيا والصين؟.. أو أن الكل قد سلم بأن قواعد اللعبة قد تغيرت، وألا مفر من مستجدات فى ظل نظام دولى ينسب نفسه إلى القطبية الواحدة، رغم كل الشواهد التى تشكك فى تماسكه؟..

ما هو الموقف الصينى من هذه التساؤلات؟.. هذا ربما هو الذى شغلنى وأنا أعود لزيارة الصين بعد ٢٨ عاما..

شانجهاى .. نيويورك ..
والحـرب ضد الإرهـاب

كنت ضمن وفد «المجلس المصرى للعلاقات الخارجية» الذى كان يزور الصين وقت وقوع الحدث المروّع الذى عـرّض الولايـات المتحـدة الأمريكية لضربة إرهابية غير مسبوقة فى التاريخ.. كنا خلال زيارتنا قد حضرنا فى بيجنيج ندوة عالميـة نظمـها «معـهد الشـعب الصينـى للعلاقـات الخارجيـة»، وهـو الجهـة الصينيـة التـى وجـهت إلينـا الدعـوة.. كـان عنـوان النـدوة «الصـين والعـالم فـى القـرن الحـادى والعشرين».. وكـان انعقـاد النـدوة مناسـبة للحديـث عـن الإنجازات المذهلة التى حققتها الصين خلال العقدين المنصرمـين والتـى تؤهلـها لاستقبال الألعاب الأولمبيـة فـى عـام ٢٠٠٨.. كـانت النـدوة تتويجـا لوجه للصين لم أكن أدركه، وأتيحـت لى مـع أعضـاء الوفـد المصـرى فرصة مشاهدته، هو تمتع الصين بازدهار واستقرار ونمو متسارع يدعو إلى الدهشة.. فى وقت وقعت فيه مفاجأة كبرى أخرى، هى الكشـف فجأة عن هشاشة المؤسسات الأمريكية فـى وجـه نـوع جديـد، بـالغ الجسارة والخطورة، من الإرهـاب، عـرّض نيويـورك لمأسـاة إنسـانية فاقت كل تصور..

ولنبدأ بالمفاجأة الأولى.. مفاجأة صعود الصين - التى تضم مليارًا وثلث المليار نسمة - إلى مرتبة أعظم الدول.. ينبغى لى أن أعترف أن هذا تطور لم أكن أتوقعه.. ولولا مشاهدتى له بعينىّ، لاستحال علىّ تصديقه.. لقد زرنا شانجهاى.. وهى - بما أصبح لها من ناطحات سماء عملاقة - مدينة متألقة ذات ملامح مستقبلية باتت تزاحم طوكيو ونيويورك.. وما ينسحب على شانجهاى - على حد قول كل من سألناه - ينسحب على مدن صينية كثيرة أخرى تطلّ على المحيط الهادى.. صحيح أن التقدم الصينى ليس تقدما متكافئا فى كل أرجاء الصين.. وأنه لابد من جهد جبار لتنمية الداخل الصينى حتى يجارى مناطق الصين الشرقية المطلة على لمحيط الهادى.. وهذه مهمة توليها القيادة الصينية الآن أولوية خاصة.. غير أن ما أدهشنى بالذات هو كيف ظلت صورة الصين الحقيقية غائبة فى عصر ثورة المعلوماتية؟.. إننا فى عصر أصبح من المتعذر فيه إخفاء المعلومات، وحجبها عن الناس.. ومع ذلك، فإن الصورة الحقيقية للصين العصرية ليست هى الصورة المألوفة.. هل هناك مؤامرة صمت؟.. هل هناك رغبة متعمدة من قبل أطراف دولية قوية فى تصوير الصين العصرية على أنها «العدو» الذى ينبغى اختلاقه حتى يكون هناك مبرر لحشد القوة العسكرية فى مواجهته، بعد زوال النظام العالمى ثنائى القطبية؟.. هذا أمر بحاجة إلى تأمل عميق..

طريق ثالث صينى ؟

إن آخر مشاهدتى للصين، كما سبق وكتبت، هى صين ما بعد الثورة الثقافية.. صين مرحلة من تطورها الثورى كان ما زال يمجِّد فيها هذا الانفجار الداخلى المهول.. صين مرحلة أصبحت موضع إدانة الآن.. وقد امتدت الإدانة لدرجة تحميل ماو تسى تونج شخصيا مسئولية التورط فى انحراف معاد للثورة، انحراف دمغه ماو بـ «مناصرة الرأسمالية».. ما زال يسلم قادة الصين بأن ماو هو «أبو الثورة الصينية».. هو صانع الحدث ومهندسه.. وما زالت صورته معلقة فى صدر ميدان «تيان آن مين» التى شهدت ثورة الطلاب فى نهاية السبعينات.. ولكن ماو لم يعد يؤله.. وأضحى يقال إنه قد ارتكب أخطاء، ووقع فى انحرافات.. وإنه كان لدينج هسياو بينج بعده الفضل فى إعادة المسيرة إلى الطريق القويم..

وليس من السهل تشخيص إلى أين تتجه الصين الآن، وقد سلمت قياداتها بأن التمادى فى «العداء للرأسمالية» خلال الثورة الثقافية قد أسفر عن «ثورة مضادة»، و«فوضى شاملة»، وأساءت «إساءات بالغة» إلى تجربتها الثورية.. الشىء الجاذب للانتباه هو أن ما جرى من نهضة فى الصين خلال العقدين المنصرمين هو، باعتراف مؤيدين عتاة للرأسمالية، مثل الوزير المحافظ البريطانى السابق لورد هازلتاين الذى حضر الندوة، هو «حدث مدهش لا مثيل له فى تاريخ البشرية كلها».. وقد سمعنا من بعض القيادات الصينية أنها تميل

إلى الاعتقاد أن الصين بصدد أن تنتهج طريقا ثالثا، لا هو الطريق الرأسمالى ولا هو أيضا الطريق الاشتراكى بما نسب إليه من سمات.. إنه طريق يستند إلى خصائص صينية متميزة.. طريق يرفض الهيمنة فى كل صورها.. بل يضيف هؤلاء أن «الطريق الثالث» الذى تنتهجه الصين أكثر أصالة فى هذا الاتجاه مما قصده تونى بلير عند ابتداعه هذا المصطلح..

هل تجربة «الطريق الثالث» الصينية، التى عادت التجربة الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى، هى معادية على نحو مماثل للتجربة الرأسمالية فى الغرب؟.. ما هو مدى العداء الذى تكنه الولايات المتحدة الأمريكية للصين العصرية؟.. إن الرئيس السابق كلينتون قد بذل جهدا لمحاولة «تطبيع» علاقات أمريكا مع الصين.. ولكن لا يبدو أن الرئيس لحالى جورج دبليو بوش حريص على بذل جهد مماثل.. وعلى أية حال، فلقد أسفر هذا الأسبوع عن عدو للغرب ولأمريكا، بات يدرك العالم الغربى أنه ليس ظاهرة هامشية، أو عارضة، أو إقليمية فقط، بل أصبح يشكل أحد المكونات الرئيسية لبنية النظام العالمى الراهن..

قطبية ثنائية من نوع جديد

لقد قلت فى ندوة بيجينج «إن الاعتقاد السائد هو أننا بصدد نظام عالمى أحادى القطبية.. غير أن هذا ليس صحيحا.. ذلك أن النظام العالمى ما زال ثنائى القطبية، ولو بصورة مختلفة عن تلك التى

سادت فى حقبة الحرب الباردة.. إن أحد قطبى النظام الدولى القائم هو داخل نظام الشرعية الدولية.. هو القطب الذى تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وتضم العديد من دول العالم.. والقطب الآخر خارج نطاق الشرعية الدولية.. إنه قطب الإرهاب الدولى.. وقد أظهرت بشاعة العملية التى تعرضت لها الولايات المتحدة أنه ينبغى ملاحقة مدبرى العمليات الإرهابية بلا شفقة.. غير أن ملاحقتهم بالعنف والقمع وحدهما لا يكفى.. ذلك أن جذور الإرهاب لن تجتثّ ما لم تجتث الأسباب المفضية إلى الإرهاب.. إن الوقت قد حان لمراجعة شاملة للنظام الدولى، لاستبعاد عوامل عدم المساواة وعدم التكافؤ والتمييز فى مختلف صوره التى تشجع الإرهاب، وقد بلغ الآن حدا لم يعد محتملا»..

فوجئت باهتمام كبير بمداخلتى هذه.. حدثنى فيه العديد من المشاركين فى الندوة، وسألنى بشأنه مراسلون صحفيون وإذاعيون ورجال إعلام شتى.. قلت: «لا ينبغى أبدا ترك أى فريق من الجماعة البشرية لليأس، وللإحساس بأن بقية البشرية تهدر حقوقه الأساسية.. لا ينبغى أبدا إسقاط الإحساس بأن التضامن بين البشر ضرورة لا بديل عنه لمصلحة البشرية جمعاء.. فإن منبت الإرهاب، وتوجيه ضربات قاتلة إلى المدنيين الأبرياء، دون تمييز بينهم وبين المقاتلين، إنما هو تعبير عن وصول الحال بالبعض إلى الإيمان بأن البشرية قد تركت قطاعات منها للضياع.. وإزاء التعرض للتهلكة

لا محالة، فإن سلاحا فى مقاومتها هو جرّ أبرياء آخرين إلى التهلكة هم أيضا»!..

والجدير بلفت نظرنا أن الحرب على الإرهاب ليست امتدادا للحروب التى تباشر بين دول. بل نوعية من الحروب مختلفة كيفيا.. إن الحرب على الإرهاب هى حرب على أفراد وجماعات متسربة إلى عدد من الدول ولا يمكن تحميل الدول التى يتسربون إليها مسئولية أنشطتهم بشكل مباشر وكامل..

إن الحرب على الإرهاب هى حرب على اليأس.. ويتعذر إحراز نصر فيها لو مورست بهدف الانتقام.. إن الانتقام والانتقام المضاد مسلسل لا نهاية له، ومتى بدأ، يصعب الفكاك منه.. ومن هنا ما يبرر دعوة الرئيس مبارك إلى عقد مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب، ذلك أن طرح فكرة إقامة «تحالف دولى» ضده، من شأنه تقسيم المجتمع الدولى، لا تحقيق التصدى الجماعى الحاسم له..

ثم لو كان هناك درس يستمدّ من تجربة الصين، فإن العديد من المشاكل الكبرى التى تواجهها منذ قيام ثورتها وتحقيق استقلالها هى مشاكل ما زالت قائمة، ولم تُسوَّ بعد.. لم تُسوَّ بعد مشكلة تايوان.. ولم يتحقق بعد تكافؤ بين مختلف أقاليم الصين.. تماما كما لم تُسوَّ – لدى العرب – المشكلة الفلسطينية، ولم يتحقق بعد تضامن منتج بين الدول العربية.. ومع ذلك، فإن الصينيين متفائلون والعرب متشائمون.. وهذا تعبير عن موازين قوى مختلفة.. إن

الصينيين معتزون بإنجازاتهم، وشعورهم بأنهم قد نجحوا - أخيرا - فى السيطرة على مقدراتهم، بينما اليأس المتفشى فى الصفوف العربية تعبيرًا عن فشل العرب فى تحقيق نتائج مماثلة.. إن الصينيين ينظرون بثقة إلى مستقبلهم، بينما ينظر العرب إلى مستقبلهم بشعور عميق بالإحباط..

وقد أسرعت القيادة الصينية بإدانة العمليات الإرهابية التى ارتكبت ضد الولايات المتحدة.. كما أسرع الحكام العرب هم أيضا بإدانتها.. غير أن الصين فى موقع أفضل من الدول العربية لتأكيد معنى أن الإرهاب لن يجتث ما لم تصاحب العمليات التى تستهدف تصفيتها، تدابير من أجل إعادة تنظيم المجتمع الدولى، على نحو يكفل مزيدا من العدالة الاجتماعية.. أليس هذا مجالاً لتقارب عربى- صينى، بديلا عن صين تستغرقها مشاغلها فى الشرق الأقصى، وعالم عربى/ إسلامى أصبح المستهدف قبل غيره فى حرب ضد الإرهاب تؤذن بصدام حضارى مدمر يتعذر التكهن بعواقبه؟..

دكتور محمد نعمان جلال

- نظرة الشعب الصينى للرئيس مبارك
- الصين بين الأدب والسياسة
- مصر والصين وبطرس غالى
- أحمد زويل بين مصر والصين وأمريكا
- الأمم العظيمة والأمم الفاشلة
- طائرة التجسس الأمريكية.. تحليل فى إدارة الأزمة
- المنهج الصينى فى إدارة الأزمات الاقتصادية
- الدبلوماسية بين الحضارة والشعر

نظرة الشعب الصينى للرئيس مبارك

الشعب الصينى من الشعوب ذات الحضارة العريقة الفخور باعتزاز بالغ بهذه الحضارة وهذا التاريخ الباهر الذى أسهم بإنجازات ضخمة من أجل البشرية من بينها فنون الطباعة، وصناعة الحرير، والبارود فضلا عن دوره فى الفلسفة والفكر والتجارب السياسية والاقتصادية الرائدة التى جعلته بحق مفخرة شعوب العالم بإنجازه السريع فى أواخر القرن العشرين وبغزوه لأسواق العالم النامى والمتقدم على السواء.

من هنا فإن نظرة الشعب الصينى للرئيس حسنى مبارك أمر يستحق التسجيل وهذه النظرة تعمقت عبر السنوات وتجسدت فى مجموعة من الوقائع المادية والملموسة والتى منها:

الأولى: قرار جامعة بكين بمنح الدكتوراه الفخرية للرئيس مبارك عام ١٩٩٩ تقديرا لدوره فى خدمة السلام ونشر مفاهيم التعاون بين المجتمعات وكان خطاب الرئيس مبارك فى حفل تسليم الدكتوراه بمثابة وثيقة فلسفية وسياسية طافت بمفاهيم الحضارة المشتركة بين مصر والصين وانتهت بنظرة ثاقبة حول النظام العالمى الجديد.

الثانية: قرار مجلة الصفوة الصينية بعد استطلاع أجرته على مستوى العالم باختيار الرئيس مبارك رجل عام ٢٠٠٠ ضمن أهم

١٠ شخصيات على نطاق العالم بأسره وكان ترتيب الرئيس مبارك ضمن الخمسة الأوائل من العشرة بعد الرئيس الصينى والرئيس الأمريكى والرئيس الروسى وسبق بذلك قادة كثير من الدول المهمة والمتقدمة وكنت حيثيات القرار الذى نشرته المجلة تقديرا لجهود الرئيس مبارك من أجل السلام العالمى والسلام فى الشرق الأوسط ومن أجل تحقيق التنمية الاقتصادية فى مصر.

الثالثة: قرار حكومة إقليم داليان وهى من أكثر المدن الصينية تقدما وتقع فى شمال شرق الصين إنشاء حديقة للخالدين تضع فيها تماثيل للقادة البارزين فى العالم واختارت فى مقدمتهم الرئيس حسنى مبارك.

الرابعة: إصدار إحدى المؤسسات الصينية الكبرى العاملة فى مجال السلام كتابا ضخما مطبوعا على ورق الحرير يتضمن مقتطفات من كلمات قادة العالم وكان فى مقدمة ذلك الكتاب القيم كلمات من الرئيس حسنى مبارك وحضر ممثلو تلك المنظمة الشعبية وقدموا للسفارة المصرية فى بكين هذا السفر القيم الذى تم إرساله للسيد الرئيس فى منتصف عام ٢٠٠٠.

الخامسة: تابع المثقفون الصينيون والمنظمات غير الحكومية مواقف الرئيس مبارك فى دفاعه عن الحق العربى والقضية الفلسطينية ومواجهته للإرهاب ويتماشى الموقف المصرى مع كثير من المواقف الصينية وعزز ذلك من عجاب الشعب الصينى بالرئيس

حسنى مبارك. أما على المستوى الرسمى فإن إعجاب قادة الصين بمصر وبحسنى مبارك بلغ حدا لا مثيل له وتمثلت أبرز شواهده فى:

أولا: توقيع الرئيسين حسنى مبارك وجيانج زيمين على إعلان إقامة علاقة استراتيجية بين البلدين موجهة نحو القرن الحادى والعشرين وذلك فى أبريل ١٩٩٩ أثناء زيارة الرئيس مبارك للصين وكان هذا الاتفاق الأول من نوعه بين الصين وأية دولة أخرى إذ سبقه اتفاق استراتيجى صينى مع كل من روسيا وفرنسا وإن اختلفت مضامين وظروف كل اتفاق.

ثانيا: قرار الحكومة الصينية وضع مصر على قائمة المقاصد السياحية للشعب الصينى وجاء هذا القرار تقديرا لرغبة الرئيس حسنى مبارك الذى أثار هذا الموضوع مع الرئيس الصينى فى لقائهما بالإسكندرية فى أبريل ٢٠٠٠. ومصر هى لدولة الأولى - خارج منطقة شرق وجنوب شرق آسيا - التى توضع على هذه القائمة التى تتسابق عليها العديد من الدول الأوروبية والأمريكية طمعا فى الحصول على جزء من التدفق السياحى الصينى المتزايد نتيجة ارتفاع مستوى المعيشة للشعب الصينى وتطلعه للسفر للخارج.

ثالثا: قرار الرئيس الصينى عقد المزيد من لمشاورات مع الرئيس مبارك ولذلك زار مصر واجتمع مع الرئيس مبارك بالإسكندرية فى أبريل ٢٠٠٠ بعد عام واحد من لقاء الرئيسين فى بكين ثم قام

بتوجيه دعوة للرئيس مبارك لزيارة الصين عام ٢٠٠١ وتمت الزيارة مطلع العام ٢٠٠٢.

رابعا: استكشاف بعد جديد فى التشاور بين القيادتين عبر دبلوماسية الهاتف التى دخلت لأول مرة فى التشاور بين الرئيسين جيانج زيمين وحسنى مبارك فى سبتمبر الماضى. ولكن السؤال هل اقتصر الإعجاب الصينى على مصر وحضارتها والرئيس مبارك وقيادته؟ كلا إنه امتد ليشمل متابعة نشاط السيدة سوزان مبارك ومن هنا قدم الشعب الصينى مبادرتين ملموستين للتعبير عن هذا التقدير:

الأولى: قرار جامعة شنغهاى للدراسات الدولية منح السيدة سوزان مبارك لقب الأستاذ المستشار للجامعة فى أبريل ١٩٩٩.

الثانية: قرار جامعة شنغهاى للدراسات الدولية إنشاء مكتبة ضخمة باسم السيدة سوزان مبارك لتكون منارة للعلم والمعرفة فى مدينة شنغهاى العريقة والتى بينها وبين مدينة الإسكندرية علاقة توأمة. هذا فضلا عن تقديم الصين مجموعة من الكتب الكلاسيكية والمستنسخات الأثرية لمكتبة الإسكندرية التى ترعاها السيدة سوزان مبارك. أليست كل هذه الحقائق دليلا ثابتا على عمق العلاقات على المستويين الرسمى والشخصى، وعلى مدى إعجاب أبناء الحضارة العريقة فى أقصى الشرق بأبناء حضارة النيل الخالد. هل يطرح ذلك كله تساؤلا مشروعا وهو هل آن الأوان لإعطاء الشرق بوجه عام والصين بوجه خاص حقها فى تفكيرنا كمجتمع كما هى فى فكر الرئيس حسنى مبارك.

الصين بين الأدب والسياسة

يحمل الأدب فى طياته فلسفة وحكمة وقسطا من الحقيقة، كما أنه يعبر عن ذاتية الأديب، وتراثه وحضاراته ومجتمعه والبيئة والظروف التاريخية التى يعاصرها. هذه من بديهيات العلوم الاجتماعية ولكنها أكثر انطباقا على رواية الأديب الصينى الكبير جانج شيان ليانج «نصف الرجل امرأة» وهى رواية بالغة الأهمية والخطورة، ونظرا لذلك فقد تُرجمت إلى ٢٧ لغة من مختلف لغات العالم، وللأسف ليس من بينها اللغة العربية.

ولقد تصادف أن التقيت، مع عدد من السفراء المعتمدين فى الصين ومع الكاتب الصينى جانج شيان ليانج وقام بدوره كمرشد لوفد السفراء فى زيارتنا لمدينة الإنتاج السينمائى فى إقليم ننشيا. وهو رئيس اتحاد الكتاب فى الإقليم الذى يبلغ تعداده حوالى ٦ ملايين نسمة وأكبر الأقليات المسلمة من قومية الخوى. ولذلك يطلق عليه إقليم حكم ذاتى لقومية الخوى المسلمة الذين يمثلون حوالى ثلث السكان. وقد أبدى الكاتب الصينى الكبير اهتماما خاصا بمصر وحضارتها وتراثها، وأعرب عن تأثره لعدم ترجمة روايته للغة العربية فوعدته بتعويض ذلك بكتابة مقال ثم السعى لترجمته للغة العربية. وإننى أحاول بهذا المقال أن أوفى بشطر من وعدى له، كما اتصلت بالأستاذ شوقى جلال أستاذ الترجمة

وعميدها فى مصر وعضو المجلس الأعلى للثقافة الذى وعد ببذل الجهد لترجمة الكتاب ونشره فى مصر.

ونعود لخلاصة رواية «نصف الرجل امرأة» تدور أحداث الرواية حول شخص هو السيد «جانج يونج لين» اتهم بالاتجاهات اليمينية أبان الثورة الثقافية فى الصين وتم إدخاله السجن حيث تعرض للتعذيب بشتى ألوانه وصنوفه، وأثناء تواجده بالسجن كان يتخيل ممارسة العلاقات الجنسية، وبعد خروجه تعرف على فتاة وتزوجها، ولكنه عجز عن القيام بواجب الزوجية، واكتشف أن التعذيب ترك أثره على قواه الجنسية، وأثناء عمله فى المزرعة بحثت زوجته عن متعتها فوقعت فى أحضان المسئول الحزبى فى المنطقة، وعندما اكتشف ذلك عرض عليها الطلاق. ولكنها رفضت وتمسكت بزواجها منه، والقيام على خدمته ومساعدته بشتى الطرق. وتستمر أحداث الرواية ليحدث تغيير فى الصين وتنتهى الثورة الثقافية ويرد الاعتبار لبطل الرواية بواسطة رئيس الوزراء شوان لاى الذى تقدم إليه بطلب لرد اعتباره، ولكن شوان لاى توفى بعد ذلك، فقرر بطل الرواية طلاق زوجته، والسفر إلى بكين للتفرغ للنضال ضد عصابة الأربعة المشهورة، والتى كانت تقودها زوجة الزعيم الصينى ماو تسى تونج وقد تم القضاء عليها خلال شهور من وفاة ماو، وتطهير الصين من شرورها. وقبل سفره أكدت له زوجته حبها له رغم طلاقهما، وأكدت له أنه هو الرجل الوحيد فى قلبها، حتى وإن

تم اتصال جنسى بينها وبين رجال آخرين. ونجح نضال بطل الرواية وتولى «دنج شياو بنج» السلطة، واكتشف بطل الرواية أنه قد عادت له قواه الجنسية فجأة، وأن زوجته أو بالأحرى مطلقته ووقوفها إلى جانبه وبتضحياتها نجحت فى تحويله من رجل عاجز إلى رجل مكتمل الأهلية وتذكر مقولة «إن المرأة محبوبة للغاية ولكن مع هذا فقد لا تتمكن من الحصول على الرجل الذى تتطلع إليه «وتنتهى الرواية بالقول جاء الربيع فهل يعود جانج - بطل الرواية - إلى حضن زوجته السابقة هوانج».

الرواية مليئة بكثير من التفاصيل ذات الطابع السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى كانت تعيشه الصين على مدى عشر سنوات فى فترة الثورة الثقافية التى عبر من خلالها الكاتب عن معاناته الشخصية، إذ سجن أكثر من مرة كما وضع فى معسكرات العمل وتحت الحجز التحفظى عدة مرات، وعانى من التعذيب متنوع الأشكال. ومن ثم فإنه يعبر فى روايته عن تجربة حقيقية، ولعل ذلك يعكس المصداقية ويترك التأثير. واتسم أسلوب الكاتب فيما يتعلق بالجنس بـلوضوح والصراحة، مما أثار بعض المحافظين من الشعب الصينى وفضح الكاتب الممارسات الخاطئة لسياسات الثورة الثقافية وقادتها.

والرواية تقع فى ٤١٧ صفحة من القطع المتوسط وصدرت فى أواخر الثمانينات باللغة الصينية ثم تتابعت الترجمات الخاصة بها لمختلف اللغات.

ولا شك أن الدول النامية وخاصة دول الحضارات العريقة مثل الصين عانت ردحا من الزمن من الديكتاتورية بأشكال مختلفة وتحت مسميات متنوعة، ومازال الأدب يتفاعل مع السياسة. والأدب الصينى الحديث وثيق الصلة بالتطورات السياسية، وكان ذلك واضحا منذ نشأة الحزب الشيوعى عام ١٩٢١ ومن أكبر قادته الأديب الصينى المشهور «تساى يوان بى» مدير جامعة بكين عام ١٩١٦ و«هو شيه» الذى دعا لتطوير أسلوب الكتابة الصينية و «تشون تو هسيو» عميد كلية الآداب، والذى كان أول سكرتير عام للحزب الشيوعى عند إنشائه عام ١٩٢١. وكذلك عندما أطلق ماو تسى تونج حملته «دع مائة زهرة تتفتح» لتكون مصيدة للعناصر المناهضة له أو بتعبير البعض لتكون طعما لإخراج الفئران والثعابين من جحورها» ثم الانقضاض عليها، وهو ما حدث بعد ذلك على مدى عشر سنوات فى الثورة الثقافية. ولقد كان من حظى أن أقوم بتحليل ودراسة للأدب الصينى، وارتباطه بالسياسة فى رسالتى للماجستير بجامعة القاهرة والتى نشر جزء منها فى كتاب بعنوان «السياسة والثقافة فى الصين». وصدر عام ١٩٨٠ من مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية تحت رقم ٤٢ من سلسلة المركز آنذاك. وقد استخدم الأدب فى الصين كأداة رمزية للهجوم على الممارسات السياسية، ولجأ الأدباء إلى التاريخ لاستنطاق شخصياته منذ العصور القديمة، ولكن الواقع والحاضر كان هو الماثل فى الذهن، والدعوة للتغير كانت هى الشعار.

وكاتبنا السيد «جانج تشيان ليانج» ومعاناته فى هذه الرواية الرائعة يعد نموذجا فريدا، ولكن هناك كتاب أكثر حداثة برزوا فى أواخر التسعينات وبخاصة فى مدينة شنغهاى بعد عصر الانفتاح الصينى تناولوا أثر سياسة الانفتاح على تطور القيم وظهور بنات الهوى واتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء وغير ذلك.

وهذا كله دلالة على حيوية الأدب الصينى وفعاليته ودوره فى المجتمع، كما أنه دليل على أن النخبة المثقفة تحرص على القيام بدورها باستمرار فى تنبيه المجتمع وإيقاظه لمثالب التى تظهر من جراء السياسات المتنوعة.

مصر والصين وبطرس غالى

هناك فى تاريخ البشرية ثلاثيات متداخلة وتكاد تكون مترابطة ومن تلك الثلاثيات (مصر والصين وأفريقيا) و(مصر وقضية فلسطين والعالم العربى) ويمكننا أن نضيف هنا ومن واقع معايشة مباشرة واحتكاك يومى على مدى عشرة أيام أن (مصر والصين وبطرس غالى) يمثلون ثلاثية فريدة تختلف عن الثلاثيات السابقة التى أشرت إليها فى أن أطرافها ليسوا دولا أو قارات أو قضايا سياسية معينة وإنما أحد أطرافها شخص.

فقد كان بطرس غالى أمينا عاما للأمم المتحدة والآن أصبح أمينا عاما لمنظمة الفرانكفونية والصين ليست عضوا فى الفرانكفونية ومن ثم فإن علاقة بطرس غالى بها تنحصر فى صفتين من صفاته؛ الأولى هى المصرية أى كونه مصريا والثانية هى كونه أمميا أى أمينا عاما سابقا للأمم المتحدة. ومن هنا تبلورت علاقة بطرس غالى بالصين بالنسبة لهاتين الصفتين بطريقة متداخلة لا يمكن النظر لأيهما دون الأخرى. فالصين أيدت بطرس غالى أمينا عاما للأمم المتحدة لكونه ينتمى لدول العالم الثالث ولقارة أفريقيا ولمصر الحضارة ومن هنا انتخب أمينا عاما فى المرة الأولى، واستمرت الصين على موقفها فى

تأييد بطرس غالى فى المرة الثانية وزاد من تمسكها به اعتراض الولايات المتحدة عليه لما أبداه من استقلالية بدرجة ما ورغبة فى مراعاة مصالح مختلف الأعضاء فى المنظمة الدولية وهذا يتماشى مع فكر الصين واستراتيجيتها فى رفض سياسة القطب الواحد والدعوة لعالم متعدد الأطراف ومن ثم زاد الإعجاب به ليس من القيادة الصينية فحسب بل من جماهير الشعب الصينى وهذا هو المحك، ولقد عبر بعض القادة الصينيين وكثير من المواطنين عن هذا الإعجاب بطريقة عملية فى هذه الزيارة من خلال عدة مظاهر.

المظهر الأول: استقباله كما لو كان بمثابة رئيس حكومة سواء من حيث حرارة الترحيب أو ترتيب ركب السيارت والحراسة وغير ذلك من المجاملات اللطيفة أو من فرق فنية شعبية فى مدينة داليان التى يطلق عليها أنها سان فرانسيسكو مصغرة فى الصين.

المظهر الثانى: تدفق المواطنين الصينيين على بطرس غالى فى الطائرة عندما كان يستقلها سواء فى المدن والمناطق السياحية التى زارها أو فى جامعة شنغهاى التى ألقى بها محاضرة أو فى المعرض الدولى للبساتين حيث زار الحديقة الفرعونية وتجول فى المعرض لمشاهدة المناطق المختلفة فيه. وكان السباق بين المواطنين الصينيين على أن يحظى كل بشرف التقاط صورة معه أو الحصول على توقيعه على أوتوجراف أو التحدث معه بكلمة أو استطلاع رأيه فى مشكلة.

المظهر الثالث: هو الذى ربط بطرس غالى بمصر فى هذه الثلاثية، فزيارة بطرس غالى للصين كانت بصفة شخصية فهو ليس مسئولا مصريا الآن، وليس أمينا عاما للأمم المتحدة كما أن الصين ليست عضوا فى الفرانكفونية التى يتولى أمانتها العامة، وجاءت دعوته كما ذكر لى عديد من المسئولين الصينيين للتعبير عن تقديرهم لشخصه وحبهم لمصر وعن عدم رضائهم عن المعاملة التى لقيها فى حملته لإعادة انتخابه وعن تطلع الصين للاستماع لفكره حول مستقبل العلاقات الدولية فى القرن الحادى والعشرين بما لديه من خبرة أكاديمية وسياسية وتجربة فى المجتمع الدولى. ولهذا عقدت لجنة الشئون الخارجية بالمجلس السياسى الاستشارى للشعب الصينى جلسة خاصة فى شكل مائدة مستديرة للاستماع لبطرس غالى. وكذلك عقدت ثلاث مؤسسات أكاديمية هى معهد الدراسات الاستراتيجية، أكاديمية العلوم الاجتماعية وجامعة الدراسات الدولية، ولعل من محاسن الصدف أن يلقى الدكتور بطرس غالى محاضرته فى نفس القاعة التى شهدت منذ بضعة شهور محاضرة للسيدة سوزان مبارك حرم السيد الرئيس عندما منحتها جامعة شنغهاى للدراسات الدولية لقب الأستاذ المستشار للجامعة وكان شنغهاى وبكين كأكبر مدينتين فى الصين كانتا حريصتين على توثيق روابطهما بمصر بصفة مستمرة. فبعد الزيارة الناجحة للسيد الرئيس حسنى مبارك والتى قدمت له خلالها جامعة بكين العريقة الدكتوراه الفخرية وكانت تتسابق فى

ذلك مع جامعة شنغهاى التى قدمت لحرم الرئيس لقب الأستاذ المستشار.

كررت المدينتان التعبير عن حبهما لمصر التى كانت سباقة فى الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية منذ عام ١٩٥٦ ومن هنا كان إلقاء بطرس غالى لمحاضرته فى شنغهاى وعقد ندوة مستديرة فى بكين.

وننتقل للطرف الثالث من الثلاثية وهو بطرس غالى فعندما علمت بأنه سيزور مدينة كونمينج فى إقليم بينان فى جنوب غرب الصين وهى مدينة جميلة وكانت محط الأنظار فى مايو الماضى لافتتاح المهرجان الدولى للبستنة فى تلك المدينة التى توصف بأنها مدينة الربيع الدائم والذى شارك فيه عدد من قادة العالم. اقترحت عليه الموافقة على افتتاح يوم خاص باسم مصر فى المهرجان ووافق على الفور دون تردد. وكان من تقاليد المهرجان تخصيص يوم لكل دولة مشاركة فيه تقام فيه استعراضات فنية وفولكلور وموسيقى وقد سعت السفارة للحصول على فرقة من وزارة الثقافة كانت ستحضر مهرجانا مماثلا فى بكين واقترحنا أن تمتد مهمتها إلى كونمينج ووافقت السلطات الصينية على استضافتها تقديرا لمصر واستجابة لطلب السفارة إلا أن وزارة الثقافة مشكورة اعتذرت عن عدم المشاركة ليس فقط فى كونمينج بل وأيضا عن مؤتمر السياحة والثقافة عقد فى بكين. وشارك فى هذا المؤتمر العديد من الدول وجاء اعتذار وزارة

الثقافة متأخرا مما أوقع السفارة فى حرج ولكن لحسن الحظ لم يلحظ كثيرون هذا الغياب ورفع علم مصر فى المهرجان وشارك سفير مصر فى المهرجان بحكم كون مصر دولة مشاركة رغم غياب فرقتها الفنية، المهم أنه بالنسبة لاحتفال اليوم المصرى فى كونمينج استطاع المستشار الإعلامى حامد صقر باتصالاته مع الهيئة العامة للاستعلامات إنقاذ الموقف وإحضار عدة شرائط موسيقية وإعلامية ونشرات سياحية ومنتجات لخان الخليلى وعرض ذلك كله فى الحديقة المصرية.

وقام د. بطرس غالى مع نائب حاكم إقليم بينان الذى يبلغ تعداده ٤١ مليون نسمة بافتتاح حفل اليوم المصرى حيث عزف السلامان الوطنيان المصرى والصينى وتردد فى المعرض الذى تبلغ مساحته ضعف مساحة أرض المعارض فى مصر أقول ترددت أغانى عملاقة الغناء العربى أم كلثوم وكأن لسان الحال يقول إن بعض الأموات أفضل من بعض الأحياء الذين يعيشون فى غياهب قصر النظر أو فى أهازيج (السح الدح امبو) وألقى بطرس غالى كلمته التى أصر على أن تكون باللغة العربية اعتزازا منه بلغة بلاده رغم طلب السلطات فى بينان بأن تكون باللغة الإنجليزية وإزاء إصراره لم تجد السلطات مفرا من الاستجابة لذلك وتم ترجمة الكلمة باللغة الصينية وقراءتها فى نفس الوقت على الحشد الهائل من الحاضرين، وقد قال د. غالى فى كلمته: «رغم أننى فى لسنوات الأخيرة انشغلت بمهام

ومسئوليات دولية عديدة فإن بلادى «مصر» دائما فى خاطرى» وكأن لسان حاله يردد قول الشاعر المصرى العظيم أحمد شوقى:

وطنى لو شغلت بالخلـد عنـه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

ولا شك أن هذه الأيام العشرة التى عشتها أنا شخصيا كسفير لمصر فى الصين جعلتنى أشعر بسعادة غامرة لعدة اعتبارات؛ فى مقدمتها أن مصر الحضارة والتاريخ هى صنو للصين الحضارة والتاريخ وكان المسئولون الصينيون وجماهير الشعب مدركين لذلك فى أحاديثهم ومناقشاتهم بل كرروا الاعتراف بالسبق الحضارى المصرى على مستوى العالم بأسره، وثانيهما أن مصر رائدة العالم الثالث وعدم الانحياز كان لها فضل السبق فى الاعتراف بالصين والمسئولون الصينيون يكررون الإشارة لذلك دائما بأن مصر أول دولة عربية وأفريقية اعترفت بالصين عام ١٩٥٦ ولكننى كسفير لبلادى كنت أشير إليهم بأن يكملوا قولهم أيضا بأن مصر سبقت جميع دول أمريكا الجنوبية والكاريبى حيث كانت كوبا أول دولة اعترفت بالصين من تلك المنطقة عام ١٩٦٠ كما أنها سبقت معظم الدول الأوروبية، وهذه حقائق تاريخية يجب أن نسجلها لتكون هاديا لنا فى المستقبل. وهو ما اعترفت وتعترف به الصين لذلك حرصت على أن تكون زيارة الرئيس حسنى مبارك رائدة فى النتائج التى توصلت إليها بتوقيع الرئيسين المصرى والصينى على بيان إقامة

علاقة استراتيجية للتعاون بينهما فى القرن الحادى والعشرين. ولهذا كانت مصر - مبارك - هى أول دولة من العالم الثالث تقيم معها الصين مثل هذه العلاقة بل كانت الدولة الثالثة على مستوى العالم بعد الاتفاق مع روسيا وفرنسا فى هذا الصدد. ما هى العبرة من زيارة بطرس غالى للصين؟ أعتقد أن دلالة ذلك أن الشخصيات المصرية ذات المصداقية يمكن الاستفادة منها فى خدمة بلادها حتى وإن تقاعدت ولم تعد تتولى مناصب رسمية. وهناك العديد من أمثال هذه الشخصيات وبخاصة بعض المفكرين السياسيين وقدامى السفراء حقيقة لن يصل منهم لمستوى بطرس غالى ولكن الصحيح أيضا أن لهم خبرة وتجارب واتصالات دولية، ومن ثم فإن الاستفادة من هذه الخبرات الضخمة والكفاءة العالية هى واجب وطنى ينبغى على ذوى الاختصاص أن يولوه رعايتهم وعنايتهم حتى لا تهدر هذه الطاقات لمجرد بلوغ سن المعاش أو لمجرد ترك المنصب رفيع المستوى وهذا ما تفعله الصين بإعطاء المناصب التنفيذية للشباب والاستفادة من الخبرات فى السن المتقدمة فى التخطيط والتوجيه والاتصال بالعالم الخارجى ولهذا تقدمت وانطلقت بسرعة فائقة أصبحت حديث العالم بأسره.

أحمد زويل بين مصر والصين وأمريكا

فى فجر ذلك اليوم السعيد ١٣ أكتوبر بتوقيت الصين، الثانى عشر من أكتوبر بتوقيت مصر، سمعت نبأ بالغ الأهمية أدخل على قلبى - وأعتقد على قلب كل مصرى - السرور والابتهاج وهو حصول العالم المصرى أحمد زويل على جائزة نوبل للكيمياء لعام ١٩٩٩. وهكذا يختتم القرن العشرين أعماله بالإقرار بطريقة عملية واضحة لا لبس فيها بعظمة مصر، حضارة وشعبا، بمنح ثلاثة من أبنائها جوائز نوبل كل فى فرع مختلف من فروع الحضارة، وهذا هو ما دفعنى للقول بعظمة شعب مصر متمثلا فى هؤلاء الأفراد الثلاثة ومساهمتهم كل فى مجاله، والإشارة للحضارة لأن كل فرع من فروع الحصول على جائزة نوبل ينتمى إلى فرع من أنشطة الحياة، ويمثل مساهمة من نوع معين فى بناء الحضارة. فالسلام العادل والشامل الذى دعا إليه الرئيس الراحل أنور السادات ودفع حياته ثمنا له هو أساس الحضارة، والمساهمات الأدبية التى حصل بسببها نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب تمثل البيئة التى ينتعش فيها السلام، فهى الإطار الذى يتحرك فيه هذا السلام. فالأدب يشكل الهوية ويشكل الفكر والشخصية وأخيرا يأتى العلم أو العلوم

والتكنولوجيا ثمرة السلام والثقافة، وهى التى تمثل القوة الدافعة للتقدم والتطور، وهذا كله عن مصر وجائزة نوبل.

أما عن أمريكا فإنها تمثل المناخ الفكرى الملائم للبحث العلمى والتفوق الفردى وإتاحة الفرصة للنابغين من الشباب ليحققوا أحلامهم وطموحاتهم. حقا شكرا لأرض العالم الجديد التى احتضنت ابنًا من أبناء العالم القديم، وأتاحت له سبل التفوق والتقدم والإنجاز، ولقد كتب توكفيل منذ حوالى قرنين من الزمان عن أمريكا كقلعة للديمقراطية ونظام الفصل بين السلطات، كما كتب أحد علماء الاجتماع المشهورين «ماكس فيبر» عن دور النخبة، وعن دور المذهب البروتستانتى «أى الاحتجاجى» ضد هيمنة الكنيسة فى العصور الوسطى ومصادرتها للفكر والعلم والاجتهاد فى بعض الروح الفردية ودفعها نحو تحقيق ذاتها وتحقيق التقدم الاقتصادى والعلمى على نحو ما حدث فى أمريكا مقارنة بالتخلف النسبى فى أوروبا. هل يعى أصحاب الإرهاب الفكرى فى بلادنا قيمة العلم وحرية البحث العلمى التى أكدها الإسلام فى القرآن العظيم.

وماذا عن الصين وهى الشق الآخر فى معادلة عنوان هذا المقال. إنها الدولة التى استطاعت تحقيق معجزة اقتصادية فى عشرين عاما وهذا إنجاز غير مسبوق فى تاريخ البشرية، ولكن عناصر الإنجاز اعتمدت على إطلاق طاقات الأفراد وحرياتهم وإتاحة المناخ المناسب لهم وتنحية الجهاز البيروقراطى جانبا.

ونحن إذ نفتخر بأحمد زويل، لابد أن نتذكر حال العلوم والتكنولوجيا فى مصر لأن مصر بها ألف أو عشرات الآلاف مثل أحمد زويل، ولكن مناخ البحث العلمى غير موات. ولقد زارنى أحد العلماء المصريين من جامعة الإسكندرية، عندما كنت سفيرا فى الباكستان، وهو حاصل على جائزة لجنة العلوم والتكنولوجيا التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى، وكان يشتكى من المناخ العلمى وأنه يدفع تكاليف أبحاثه بنفسه. كما زارتنى إحدى الباحثات المصريات من المركز القومى للبحوث فى مصر منذ أسابيع قلائل واشتكت من حالة المركز القومى للبحوث، وكيفية التعامل بين العلماء، لا أعرف الحقيقة. ولاشك أن وزارة البحث العلمى والتكنولوجيا وغيرها، عليها مسئولية رئيسية فى القيام بمواجهة مثل هذه الحالة من الاحباط لدى العلماء، وإتاحة لموارد لتغذية فكرهم، واكتشاف العباقرة والاستفادة من مخترعاتهم حتى لا نواجه المزيد من استنزاف العقول والخبرات. ويحضرنى هنا اسم عالم الصواريخ الصينى «ليانج شوبان» الذى عاد لبلاده فى الستينات وكان قد حصل أيضا على جائزة نوبل ولكنه آثر العودة لبلاده والمساهمة فى تقدمها ورقيها تاركا وراءه جميع الاغراءات، وقد وفرت له بلاده شيئا مهما، هو مناخ البحث العلمى ولم تحوله إلى طاقة عاطلة أو تدفعه لليأس والإحباط، وإنما سهلت له مهمته فى ابتكار وسائل التقدم وهو يبلغ

الآن من العمر ٨٧ عاما ولا يزال فكره يساهم فى برنامج الصواريخ وغيرها من البرامج التى تحقق للصين إنجازات كل يوم.

اللهم حافظ على مصر وعرز من تقدمها العلمى وإنجازاتها ومساهمتها فى مجال الحضارة القائمة على السلام والآداب والعلوم، اللهم بارك فى شعب مصر المعطاء..

الأمم العظيمة والأمم الفاشلة

التطورات فى العالم المعاصر متلاحقة وسريعة، والمياه لا تتوقف وعجلة الزمن تدور بسرعة يكفى أن الكومبيوتر وهو من مخترعات العصر الحديث تتطور أجياله عاما بعد عام كما أن استخداماته والبرامج العديدة التى يشملها تتزايد فى عددها وفى نوعياتها.

ولقد أثار انتباهى نبأ صغير فى الحجم خطير فى الأهمية وله دلالات بعيدة المدى. ففى عمود من أعمدة جريدة الصين اليومية China Daily بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٩٩ يقول العنوان إن الصين تعمل على نشر وتنمية «لغة البوتون خوا Puton hua وكان ذلك تعليقا على عقد ندوة على مدى أسبوع حول هذا الموضوع تحدث فيها أحد نواب رئيس مجلس نواب الشعب (البرلمان) والندوة ليست دائرة مغلقة لمجموعة من المثقفين ولكنها جاءت فى إطار حملة جماهيرية واسعة النطاق لنشر هذه اللغة. و «البوتون خوا» هى لغة الماندرين الصينية المنتشرة أساسا فى شمال الصين والمبنية على لهجة أهل بكين وتعمل الصين منذ أكثر من ٤٠ عاما على أن تكون هذه اللغة بهذه اللهجة هى السائدة فى عموم الصين لكى تكون أداة توحيد الصين وتسهيل التعامل بين أبنائها والمستهدف أنه فى منتصف القرن القادم يتحدث بها الصينيون البالغ عددهم الآن ١,٢ مليار نسمة، ولا ندرى كم

سيكون العدد بعد نصف قرن من الآن. هذه اللغة ستصبح وحدة فكرية وثقافية تربط الأفراد مع استمرار الوحدة السياسية القائمة حاليا بالإضافة للوحدة الاقتصادية. ولعل مما يذكر أن فى الصين ٥٦ قومية مختلفة فى لغاتها وأديانها وحتى الهان وهم القومية الرئيسية فى الصين يتحدثون اللغة الصينية بلهجات مختلفة ليس فقط فى كل إقليم بها بل ربما فى داخل بعض الأقاليم.

أما النبأ الآخر فهو غير منشور فى يوم محدد ولكنه واقع معاش على مدى الأربعين سنة الماضية وهو حركة الوحدة الأوروبية التى بدأت وحدة عسكرية أو على الأقل تنسيقا عسكريا وحماية عسكرية تحت لواء حلف الأطلنطى عام ١٩٤٩ ثم امتدت إلى تنسيق فوحدة اقتصادية فى ظل السوق الأوروبية التى أصبحت الآن الاتحاد الأوروبى والذى أصبح له برلمان ولجنة عليا كما أن الاجتماعات العديدة على مستوى الرؤساء و لوزراء تنسق سياسيا فى معظم المواقف. هذا كنه رغم اختلاف هذه الدول الأوروبية فى لغاتها ومذاهبها الدينية ونظم الحكم فيها ما بين ملكى وجمهورى، ورغم أن التاريخ الأوروبى شهد معارك دموية طاحنة بين دول القارة.

والنبأ الثالث هو أيضا حقيقة نعيشها فى الشرق الأوسط وهو قيام دولة إسرائيلية وسعيها لتكون الملاذ ليهود العالم الذين يختلفون عن بعضهم البعض فى اللغة والتقاليد والأصول العرقية فهناك اليهودى الروسى واليهودى الأثيوبى واليهودى العربى واليهودى الأوروبى،

فالخلافات فى الأشكال وأنماط الحياة والتفكير عديدة، ومع هذا فإن إسرائيل تدرك أن اللغة هى العنصر الذى يمكن أن يربطها فى المستقبل ولذا تحرص على أن يتعلم كل يهودى اللغة العبرية كما طورتها دولة إسرائيل الآن ويتشبع بثقافتها وفكرها الحديث، وذلك كله إدراكا منها بأن عنصر الدين الذى مثل القوة الجاذبة لقيام إسرائيل، وعنصر الاضطهاد الذى تعرض له اليهود فى الماضى وكان القوة الداعية للتعاطف الدولى وللهجرة لإسرائيل، كل ذلك لن يصمد فى القرن الحادى والعشرين حيث العلمانية وحرية الأديان والتسامح وحقوق الإنسان.

هذه ثلاثة نماذج من الشرق الأقصى والأوسط والغرب والسؤال الذى يفرض نفسه أين نحن الآن فى العالم العربى من هذه المتغيرات وما هو موقفنا على الخريطة الدولية فى القرن الحادى والعشرين وما هى تصوراتنا للمستقبل؟

نقول إن هناك وحدة عربية قامت قبل ظهور الإسلام بتوحيد لهجات القبائل العربية ثم جاء الإسلام فعزز هذه الوحدة وجعل لهجة قريش هى الغالبة وانتشر الإسلام فى ظل العروبة كما قويت العروبة بالإسلام ولكن السؤال الآن ما هو الوضع. إن اللهجات المحلية تنتشر وتقوى وتتعزز عن طريق أجهزة الإعلام فى كل دولة عربية وفى الدويلات والإمارات، كما أنه من اللافت للنظر أن كل

دولة عربية تسعى لإنشاء شركة طيران خاصة بها وغير ذلك مِمَّا يمكن أن نطلق عليه مظاهر السيادة الشكلية بدلا من التنسيق مع بعضها البعض. بل أيضا إنشاء صناعات مثل البتروكيميائيات وغيرها حيث لا تتوافر السوق الكافية، هذا ناهيك عن أن الأمة العربية التى وحدتها اللغة والثقافية وظلت شبه موحدة سياسيا أصبحت أقل تماسكا وساد بين دولها التنافس والتصارع والخلاف على الحدود ودخل بعضها فى صراعات عسكرية مدمرة فأصبح بعضها يثق فى البعيد الغريب قبل الشقيق القريب هل يمكن أن تظهر نخبة أكثر وعيا وأكثر إحساسا بنبض المستقبل فى العالم فى منطقتنا العربية حتى تحتل مكانها اللائق فى القرن القادم أو سنكتفى بأن نكون على هامش التاريخ وموضوعا لأحداثه بدلا من أن نكون فاعلين ومؤثرين فى مسيرته. ولعل الجامعة العربية عليها مسئولية ثقافية الآن فى المقام الأول بعد أن شبعنا من الشعارات السياسية التى لم تدفعنا قدما للأمام، ويلى ذلك مسئولية اقتصادية. إن الإيمان بالأمة العربية ودورها فى حماية ثقافتنا وحضارتنا هو المدخل لذاتنا وكياننا فى المستقبل

طائرة التجسس الأمريكية ..
تحليل فى إدارة الأزمة

إن حادث الطائرة الأمريكية والطائرة الصينية هو حادث مؤسف وقد تابعت وكالات الأنباء تفاصيله، وما يهمنى هنا أن أشير إلى دلالاته الدولية والإقليمية. أما من ناحية الدلالة الدولية فإنه يعكس إرادتين لدولتين عملاقتين إحداهما هى الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الوحيدة، صاحبة الأساطيل والطائرات والأقمار الصناعية التى تجوب أنحاء العالم برا وبحرا وجوا وتقوم بمسح شامل لكل مناطق المعمورة.

والثانية: هى الصين القوة النامية بل أكبر دولة نامية من حيث القوة الاقتصادية والعسكرية وأكبر دولة فى العالم من حيث عدد السكان ومعدل النمو الاقتصادى.

تسعى كلتاهما للقيام بدور رئيسى فى تشكيل العالم والنظام العالمى الاقتصادى والسياسى فى القرن الحادى والعشرين، أما عدا ذلك من تفاصيل مثل كيف أسقطت الطائرة الصينية وأين كانت طائرة التجسس الأمريكية ومن صاحب الحق القانونى هنا أو هناك فقد امتلأت وكالات الأنباء بالأخبار التى نتابعها وكذلك ببعض التحليلات، ولكن ما هى دلالة تصارع الإرادات هذه؟

الدلالة الأولى: أن كلا العملاقين حريص على الدفاع عن أفكاره وتطلعاته وطموحاته وهذا واضح من متابعة الحادث ووجهات نظر الطرفين.

الدلالة الثانية: أن الصين كقوة نامية صاعدة تميزت قواتها الجوية ودفاعها الجوى باليقظة التامة، ومن هنا كان تحرك طائراتها المقاتلة بسرعة فائقة فى اللحظة المناسبة.

الدلالة الثالثة: أن الصراع فى المستقبل أى فى القرن الـ ٢١ بين الدول ليس صراعا عسكريا مسلحا على غرار ما حدث فى الحربين العالميتين الأولى والثانية، أو فى حروب محدودة، كما كان فى حرب كوريا أو فيتنام أثناء مرحلة الحرب الباردة، وإنما هو صراع فى مجال التجسس ومقاومة التجسس لأنه صراع الذكاء، أى المخابرات فى مجال المعلومات والتكنولوجيا بالغة التطور والتقدم.

ومن الناحية الإقليمية: يهمنى أن أشير إلى حقائق أربع بالغة الأهمية:

● **الأولى:** أن منطقة المحيط الهادى أو ما اصطلح على تسميته آسيا الباسيفيك هى منطقة الصراع فى القرن الـ ٢١ وهذا عكس النظريات القديمة التى كانت تركز على البعد الجغرافى فقط مثل نظرية قلب العالم فى منطقة الشرق الأوسط، أو السوابق القديمة فى الحرب العالمية الأولى والثانية التى دارت رحاها الرئيسية فى أوروبا

أى أن مسرح الصراع فى المستقبل يختلف عما كان عليه فى القرون الماضية.

● **الثانية**: أن منطقة آسيا الباسيفيك أصبحت أيضا منطقة التنمية الاقتصادية ومحور السياسة فى القرن الـ ٢١ إذ تحيط بها القوى العظمى الاقتصادية، مثل الولايات المتحدة والصين واليابان، فضلا عن دول النمور الآسيوية مثل كوريا أو سنغافورة أو تايلاند أو إقليم تايوان.

● **الثالثة**: ناهيك عن استراليا وكندا على الجانب الآخر، بالإضافة إلى دول أمريكا اللاتينية المهمة والمتزايدة القوة الاقتصادية، ولقد كان يطلق على المحيط الأطلنطى فى العصور الوسطى أنه بحر الظلمات، كما أطلق على المحيط الهادى فى أواخر العصور الوسطى وربما فى القرن الـ ١٩ أنه بحر الظلمات الأعظم، فأصبح هذا المحيط فى القرن العشرين مركز الاهتمام وفى القرن الـ ٢١ هو محور النشاط السياسى والاقتصادى والعسكرى الذى سيتحدد مصير العالم فى ضوئه.

● **الرابعة**: أنه برغم الحادث وأثاره فإنه يمكن استخلاص بعض العبر والدروس المستفادة ذات الدلالة والمغزى العميق، وهى ترتبط بعملية إدارة الأزمة، فمن المعروف أن إدارة الأزمات أصبحت نظرية وعلما، وهذه النظرية ظهرت فى أواخر القرن الـ ٢٠، ولكن يتعاظم دورها فى القرن الـ ٢١، وهذه الإدارة تكون من خلال تعاون وثيق

بين أجهزة الدولة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتلك الخاصة بالأمن القومي، لبحث الخيارات المتنوعة وأثر كل خيار على العلاقات بين الدولتين وبين الدول، ومن يتابع تصريحات المسئولين الصينيين والأمريكيين بل والمسئولين من اليابان وغيرها من دول جنوب شرق آسيا يلحظ ذلك بكل وضوح.

ما هى إذن العبر والدروس المستخلصة من إدارة هذه الأزمة، إن التحليل الدقيق يقودنا إلى أربع عبر أو دروس مستفادة وهى:

■ **العبرة الأولى:** منهج إدارة الأزمة، ففى الإدارة المنطقية للأزمة تتخلى الدول عن أسلوب العنتريات أو الشعارات الجوفاء، وتركز الدول الرشيدة على منهج الاعتدال والمعقولية والحجج المنطقية، وهذا واضح فيما تقوله الصين من أنه تم الاعتداء على مجالها الجوى وأن إحدى طائراتها ضحية، وفيما تقوله الولايات المتحدة من أن طائرتها كانت فى المجال الدولى، وأنه تقوم بهذه الأعمال منذ عشرات السنين وليس أمرا جديدا، وأيضا فيما تطلبه الصين من اعتراف أمريكا بالخطأ والمسئولية والاعتذار عنه، فى حين أن ما قدمته أمريكا حتى الآن هو إبداء الأسف لفقد طائرة ولفقد طيار، أى مجرد الأسف للخسائر البشرية والمادية؛ هذا يعنى أن الطرفين يتحاوران بمنطق وأسلوب حضارى من خلال حجج وحجج مضادة، من خلال منطق بعيد عن لغة التهديد أو الشعارات العنيفة التى تلهب مشاعر الجماهير وتخاطب أحاسيسها، وتحرص الدولتان على استخدام لغة

العقل والمنطق والمصالح المشتركة، ويدعو كل طرف الطرف الآخر لإجراء حساب دقيق للخسائر والأرباح.

■ **العبرة الثانية:** ومن أسلوب إدارة الأزمة هو أنه مهما يكن اختلاف وجهات النظر فلابد من الحوار والتفاوض كوسائل متاحة وفعالة فى إدارة الأزمة وأن الالتجاء إلى العنف لابد أن يكون فى أدنى درجاته، وبأسلوب محكوم حتى لا تخرج الأمور إلى نطاق غير ممكن للسيطرة عليه، ومن ثم تكون إدارة الأزمة فاشلة، ولا يستطيع اللاعبون تحقيق النتائج التى يسعون إليها، ويصبحون كريشة فى مهب الرياح.

■ **العبرة الثالثة:** أنه برغم أننا نعيش عصر ثورة الإعلام والدبلوماسية العلنية فإن الدبلوماسية الهادئة وربما السرية، لا يزال لها دور مهم فى إدارة الأزمات، ولعل الحوار بين الصحفيين والمتحدث الرسمى الأمريكى وأيضا الصينى يؤكد هذا التوجه، فكلا الطرفين يحرص على مخاطبة دائرته وشعبه، وفى نفس الوقت يحتفظ بهامش المناورة والمفاوضة فى إطار الاتصالات والدبلوماسية السرية.

■ **العبرة الرابعة:** موقف القوى الدولية الأخرى، فى ظل مرحلة ما بعد الحرب الباردة والقوة المهيمنة العظمى الوحيدة، وهى أقرب إلى موقف الحياد أو المراقبة والملاحظة، والتتبع.

بعبارة أخرى إنه موقف المتفرج، وربما تقديم النصح الهادئ لكل من الطرفين، وهذا واضح من ردود فعل كل الدول تقريبا، فلا أوروبا احتشدت وراء أمريكا، ولا روسيا عبأت قواتها وراء الصين، ولا الدول النامية اعتبرت الأمر صراعا دوليا جديدا، وهذا الأمر ذو مغزى ودلالة. ومن هنا فإن دراسة هذه الأزمة لكل مشتغل بالسياسة الدولية والعلاقات الدولية أمر بالغ الضرورة لمعرفة كيف تتجه الأحداث، وكيف يتم العمل، وما هى ردود الأفعال المتوقعة للدول المختلفة فى القرن الحادى والعشرين فى مثل هذه الأزمات ما دامت لم تمس مصالح الدول مباشرة، وربما تذكرنا إدارة هذه الأزمة بالقول المشهور «بالعلاقة بين الأفيال» فإذا تصارعت فإن الحشائش الصغيرة سوف تتحطم تحت أقدامها، وإذا تعاونت وانسجمت فإن الحشائش الصغيرة سوف تتحطم أيضا لأنها تصبح ملعبا لهذه الأفيال فى لحظة صراعها أو لحظة انسجامها، فهل تدرك هذه الأعشاب وضعها ومكانتها.

المنهج الصينى فى
إدارة الأزمات الاقتصادية

من الأقوال المأثورة فى تاريخ الفلسفة والفكر لاقتصادى أن «كارل ماركس» جاء ليصحح مفهوم الديالیتكيك الذى قدمه «هيجل» فيلسوف ألمانيا العظيم، ولكن التساؤل أيهما أعظم أثرا «ماركس أو هيجل» وكلاهما ينتمى إلى العرق الجرمانى، أو فيلسوف آخر من حضارة أخرى غير الحضارة التى ينتمى إليه «ماركس وهيجل»، ليس ذلك هدفنا، لكن هدف البحث هو مدى تأثير وتأثر انتقال الفكر الماركسى إلى الصين.

ونفس التساؤل فيما يتعلق بأثر انتقال الفكر الليبرالى الذى عبر عنه ريكاردو وادم سميث أو الذى عبر عنه كينز فى الأزمة الاقتصادية العالمية فى أواخر عشرينات القرن الماضى. هل يمكن القول أن دينج سياو بنج كان أكثر عمقا من كل هؤلاء العمالقة من المفكرين والفلاسفة الذين ينتمون للحضارة الغربية؟ هل يمكن القول بأنه استوعب كل ذلك بوعى، أو من خلال اللاوعى، عبر الفلسفة والحكمة المتراكمة، ألم يخرج دنج سياوبنج من أحشاء الفكر الماركسى اللينينى الماوتسى تونج، كما أنه خرج من فكر صينى

تقليدى يتسم بالراجماتية، والربط بين التجربة والنظرية، بين الفكر والممارسة. حقا إذا كان الشعب الصينى هو صاحب معجزة اقتصادية تبلورت ملامحها فى العشرين عاما الأخيرة من القرن العشرين فإن دنج سياوينج هو مهندس هذه الفلسفة التى تحققت فى ظلها المعجزة وبوصفة تبدو ساذجة، ولكنها تتمتع بمفعول السحر وتتمثل معالم تلك الوصفة فى نقاط ثلاث:

الأولى: أنه لا يهم لون القطة أسود أم أبيض طالما تصطاد الفئران (أى أن الهدف هو الأهم وليس الوسيلة). المضمون هو المعول عليه وليس الشكل، ومن هنا ابتكر فكرة الاشتراكية بخصائص صينية، هذه الاشتراكية ليست بقوالب جامدة ولا فلسفة ديالتيكية سواء كان يقف على رأسه، أم على قدميه، كما عبر هيجل أو ماركس، وإنما الهدف هو تحقيق التنمية الاقتصادية ورفع مستوى الشعب سواء كان عن طريق القطاع العام الحكومى، أم عن طريق القطاع المشترك أم القطاع الخاص، سواء كان يتم عن طريق رأس المال الوطنى أم رأس المال الأجنبى أم عن طريق الاستثمار المباشر أم غير المباشر عن طريق شركة أجنبية أم شركات كونسورتيوم أم شركات عابرة للقارات، كل ذلك لا يهم، طالما يتحقق الهدف إذن فلنسمِّ الظاهرة بالاشتراكية ولنتبع الأساليب الرأسمالية، فهى اشتراكية الهدف رأسمالية الوسائل والإدارة، ليس بالشعارات وإنما بالأهداف، لا مانع من إغلاق المصانع الخاسرة ولا مانع من فصل العمال إذا كان ذلك وسيلة

للإصلاح ولا شك أن التقدم الاقتصادى سيوجد فرص عمل جديدة. وأن إدخال التكنولوجيا المتقدمة سيضاعف الإنتاج، وفصل العمال غير المؤهلين وغير الأكفاء سيؤدى إلى دفعهم لإعادة التأهيل والتدريب والبحث عن عمل جديد يحقق طموحاتهم الجديدة ويرفع مستوى معيشتهم. إذن فإن نقطة البداية هى إصلاح الفكر الإدارى وتطبيقه بحزم فى المجال الاقتصادى، على أسس رأسمالية أى منح الوظيفة وفصل العامل وفقا للإنتاج بلا هوادة، فيصبح العامل والمدير إذا زاد الإنتاج يتحول للبحث عن السوق وإلا فالبديل إغلاق المصنع وتشريد العمال والمديرين، إذن سيتحول الجميع إلى وحوش كاسرة شيمتهم الدأب المستمر للبحث عن سوق لتصريف الإنتاج فلا يوجد راكد أو مخزون، التاجر يكتفى بالربح القليل، والعامل يقنع بالأجر القليل، والمدير له صلاحيات واسعة فى الثواب والعقاب، ويحرك الجميع قوى من وراء ستار تتصل بنظام الحزب وكوادره وفلسفته.

الثانية: الجميع فى حاجة لتعليم وتثقيف مستمر لأن العلوم تتقدم، والمعارف تتطور، والفكر فى حركة دائمة، التخرج من الجامعة لا يكفى، والحصول على الدكتوراه لا يروى الغليل، الوصول لمنصب الوزير ليس نهاية العلم والمعرفة بفنون السياسة والاقتصاد والإدارة فى ظل البيئة المتغيرة، الجميع ينضم لمدرسة الحزب على مراحل ولفترات مختلفة، فالوزير يدرس لمدة ٣ أشهر ويتولى نائب الوزير إدارة الوزارة، ونائب الوزير ينضم لمدرسة لحزب لمدة ٣ أشهر

تفرغ كامل ويدير العمل بدلا منه المدير العام، والأخير يدرس فى المدرسة لمدة ستة أشهر أو سنة ويضطلع بمهامه مدير الإدارة، ولا يستطيع الوزير أن يدعى أنه لا بديل له وأنه حصل على الدكتوراه فى مجال تخصصه، لأن مدرسة الحزب تدرس الاقتصاد والسياسة والفلسفة والفكر الشيوعى للتطور والممارسات المتجددة والأحوال المتغيرة والخبرة العملية، وكل هذه لا تكتسب فى الجامعة أو المعاهد الأكاديمية ولعل هذا يذكرنا بالتجربة المصرية التى قال بعض من حللوها فى الماضى إن من مثالبها أن بعض الذين طبقوا النظام الاشتراكى كانوا ينتمون للفكر الرأسمالى الذى ساد قبل الثورة، وبعض الذين طبقوا سياسة الانفتاح الاقتصادى كانوا تربوا على سياسة القطاع العام والتخطيط الشامل. ومن هنا لم تحقق الاشتراكية ولا الانفتاح الهدف الحقيقى لعدم توافر المدير أو المسئول الذى تشبع بالفكر الذى طبق فى مرحلة معينة. ومن ثم فإن البعض غير ملابسه دون أن يغير من فكره. أما تجربة الإدارة الاقتصادية فى الصين فتعطينا نموذجا مختلفا.

الثالثة: أنه «قبل أن تعبر النهر لابد أن تستكشف عمق المياه» هذا مثل صينى تقليدى طبق فى فلسفة الإصلاح الاقتصادى، وتتمثل معالمه العملية فى نقاط محددة منها ضرورة دراسة الجدوى الحقيقية للمشروع وفقا للمعطيات الصحيحة والكاملة قبل بدء العمل ووضع الإطار القانونى والإدارى له قبل التشغيل، ولذلك قامت المناطق

الاقتصادية فى الصين من خلال قانون إطارى يصدر من مجلس الوزراء، يفوض صلاحيات تنفيذية لحكام الأقاليم الذين بدورهم يفوضون العمل التنفيذى للمديرين فى المواقع المختلفة، وعبور النهر يعنى الانتقال من مكان لآخر أو من مرحلة لأخرى، إذن العمل مراحل، وخطط متتالية ومتراكمة، تسلم إحداها لأخرى، ولكل مرحلة رجالها والمتخصصون بها، وهذا يعنى فلسفة التدريب والبحث العلمى المرتبط بالممارسة، فإنتاج السلعة شكلا أو تغليفها أو تعبئتها لا تبقى للأبد كما هى وإنما تتجدد وفقا لمنهج البحث والتطوير المرتبط بكل وحدة إنتاجية وبذلك يتحسن الإنتاج، وتنخفض التكاليف، ويرتفع مستوى الجودة باستمرار. أليس هذا أحد أسرار التقدم فى الدول التى تقود الاقتصاد العالمى الآن؟، من هذه العوامل جميعا برزت عدة حقائق مهمة فى مقدمتها:

الأولى: أن الإنتاج ومن ثم تصدير السلع الصينية غزت العالم بأسعار تنافسية وجودة متنوعة ترتفع هذه الجودة فى السلعة المصدرة للدول المتقدمة التى تمتاز بمطالب ومعايير جودة واضحة، ويتدنى مستوى الجودة فى البلاد النامية حيث يتغلب عنصر الثمن على عنصر الجودة.

الثانية: زيادة معدل التكنولوجيا العالمية فى مكونات السلعة والإنتاج وفى سلع التصدير بالمناطق الاقتصادية الخاصة وأدى هذا لزيادة الواردات من مواد التكنولوجيا العالية بما يرفع مستوى التقدم

التكنولوجى ويجعل الصين تنوع إنتاجها وصادراتها ومن ثم تحد من أثر الأزمات الاقتصادية.

الثالثة: السياسة الائتمانية، تلتزم بقواعد صارمة. فالشركات الخاسرة تعلن إفلاسها، ومؤسسات التمويل العاجزة تعلن عجزها، والسياسة المصرفية لا تهتم بما يقال من اهتزاز سمعة البنوك أو المؤسسات المالية، ولذلك أعلنت عدة مؤسسات تمويلية إفلاسها، ولم تسارع البنوك فى مساعدتها، على أساس أن القانون الاقتصادى الصحيح هو الذى يجب أن تكون له الغلبة، وليس حماية الموظفين غير القادرين على الفهم والتصرف الاقتصادى الصحيح.

الرابعة: انتوسع فى سياسة الائتمان الاستهلاكى لتوسيع نطاق السوق الداخلية وتصريف السلع وهذا يحقق رفع مستوى معيشة الأفراد وتدوير عجلة الإنتاج ومواجهة الكساد.

الخامسة: تخصيص اعتمادات ضخمة للبنية الأساسية لأن المواصلات والاتصالات بشتى أنواعها هى التى تجذب المستثمر الأجنبى، فحركة الطيران بين المدن الرئيسية، عدة رحلات يوميا، والاتصالات الهاتفية الثابتة والمتنقلة سهلة وميسرة، وسداد فواتير أكثر سهولة، والفاتورة موضحا بها تفاصيل المكالمات الهاتفية بنفس الأسلوب المتقدم الذى يحدث فى بلاد أمريكا وأوروبا.

السادسة: الدور المتصاعد للسياحة فى دفع عجلة التنمية ومواجهة الكساد وتنشيط الاقتصاد. فقبل عشرين عاما لم يكن

للسياحة الصينية أية أهمية تذكر وقد تغير ذلك الآن بصورة جذرية وأصبحت تدر دخلا عام ٢٠٠٠ من السياحة الأجنبية ١٦,٢ مليار دولار، ومن السياحة الداخلية نحو ٨٥ مليار دولار، فالسياحة الخارجية إذا اهتزت فإن قرينتها الداخلية تزيد وتستمر، ولضمان ذلك منحت الصين العمال ثلاثة أسابيع إجازة فى مواسم ثلاثة، كل منها أسبوع كامل فى العيد الوطنى فى أكتوبر، وفى عيد الربيع فى أواخر يناير، وفى عيد العمال فى مايو، ويتحرك الصينيون من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ومن الشرق للغرب فى حركة محسوبة تنمى الاقتصاد وتقوى الوعى وتزيد الدخل بقدر ما تنمى المعرفة والانتماء للوطن وحبه، وتوجد برامج سياحية متنوعة لأبناء الوطن بأسعار تتناسب مع مقدرتهم المالية.

هذه بعض ملاحظات حول المنهج الصينى فى إدارة الأزمات الاقتصادية، وتحقيق النمو الذى يشبه المعجزة، وهى ليست معجزة سماوية، وإنما معجزة بشرية بفكر وعمل مستمر على جميع المستويات حيث يكرس كل شخص وقته لتطوير عمله ورفع معدلات إنتاجه، ويكون لذلك مردوده الحقيقى فى ارتقائه فى السلم الوظيفى فى مجال عمله، أو الاستفادة به فى مجالات أخرى وهناك جهات الرقابة التى تتابع ذلك كله، وترصد نشاط الأفراد والمسئولين وتقترح على القيادات العليا كيفية الاستفادة من الكوادر والخبراء، ومن ثم تتحول الموارد البشرية الهائلة إلى طاقة عمل وإنتاج يستفاد منها بدلا من أن تكون عبئا على الدولة واقتصادها.

الدبلوماسية بين الحضارة والشعر

هذه ثنائية وثلاثية ورباعية فى هذا العنوان الذى قد يبدو غريبا فى تركيبه، فما هو الارتباط بين الدبلوماسية والحضارة والشعر، وما هى علاقة فاروق جويدة الشاعر المصرى مع جانج هونج بى الأستاذة الصينية، إنه فى تقديرى - وقد كتبت ذلك فى بعض مؤلفاتى- يرجع إلى أن الدبلوماسى فى العصر الحديث، يختلف عن الدبلوماسى التقليدى، فالعصر الحديث المتسم بالتغيرات السريعة وبتلاشى المسافات وبتأثير العولمة يجعل الدبلوماسى ليس مبعوثا تقليديا وموظفا يرتدى الحلة الداكنة والياقة البيضاء ويمسك فى يده الغليون والسيجار ويحتسى ما لذ وطاب من الشراب، بل إن الدبلوماسى فى تقديرى هو مبعوث حضارة لدى حضارة أخرى، إنه رسول مجتمع لدى مجتمع آخر. وإذا عجز عن ذلك فقل عليه السلام. وليعد أدراجه للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر حيث كان الدبلوماسيون يهتمون بالشكل قبل المضمون، ويركزون على المظهر دون المخبر. أما الدبلوماسى فى أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادى والعشرين فينبغى أن يكون نموذجا مختلفا، وهو ما يحدث مع كثير من البلاد حيث يتقن الدبوماسى لغة الدولة التى يبعث

إليها ويعرف حق المعرفة ثقافتها وتاريخها وحضارتها ويعيش ذلك فى تفاعله مع الشعب الذى يقيم بين ربوعه وعلى أرضه. وهو فى تفاعله هذا يحاور مثقفيه ويحاضر فى جامعاته ويكتب وينشر فى مجلاته للتعريف بمجتمعه وحضارته وسياسات بلاده وثقافتها واقتصادها. ولنترك ذلك لمن يهتمون باختبار الدبلوماسى وتنشئته وتدريبه ونعود لموضوعنا.

إننى تلقيت رسالة دكتوراه بعنوان: «تحول الشعر العربى المعاصر فى ظل العولمة»: دراسة فى شعر فاروق جويدة للباحثة جانج هونج بى عميدة كلية اللغة العربية بجامعة بكين الثانية للغات الأجنبية ولم أستطع الصبر، سوى لساعات قليلة انتظارا لوقت السحر، حيث الهدوء والصفاء، حيث يخلد الإنسان لراحة ذهنية وصفاء روحى لا تشوبه شائبة. وعشت ساعات مع الدراسة، ومع الشعر العربى المعاصر خاصة شعر فاروق جويدة، وأعترف بأننى استفدت كثيرا ومن هنا كانت الرباعية «تحية لفاروق جويدة وتهنئة لجانج هونج بى» اللَّذَيْن تفاعلا حضاريا عن بعد وقرب فى آن مثل ما بين حضارة مصر وحضارة الصين. سعدت أيضا كدبلوماسى محترف، أن أعيش ساعات لأرى عمق البحث والدراسة من أستاذة صينية متخصصة فى الأدب والشعر العربى، تحلل وتدرس شعر أحد أبناء وطنى بإعجاب وتقدير وتربط بين مقولاته الشعرية وقضايا مصر المعاصرة والأمة

العربية بدءا من مساعى التنوير والتحديث حتى أطفال الحجارة الذين يدافعون عن القدس، ومرورا بحركة النهضة من عصر الخديو إسماعيل حتى عصر العولمة التى نعيشها الآن وتأثيرها العميق على الهوية والثقافة.

وفى تحليل لباحثة الصينية جانج عن تطور شعر فاروق جويدة لم تأخذه من فراغ أو فى فراغ، بل فى سياق تطور الشعر العربى الحديث سواء فى مضامينه أو فى أشكاله وارتباطه بقضايا المجتمع المصرى والعربى وهمومه ومشاغله. وفى تقدير الباحثة الصينية أن فاروق جويدة واحد من أحسن عشرة شعراء عرب فى القرن العشرين. وترى أن شعر فاروق جويدة هو جزء لا يتجزأ من الارتباط بين الأصالة والمعاصرة أو بتعبيرها، إن هناك تيارا قويا - فى الشعر العربى- يعد امتدادا طبيعيا للتراث وتأصيلا له من جهة، وامتدادا طبيعيا للتجديد وتأكيدا له من جهة أخرى، والشاعر فاروق جويدة واحد منهم. وتناولت الباحثة الشعور القومى الجياش فى قلب الشاعر، والوعى العالى بأن القيم الاجتماعية هى الجزء المهم من تجارب الشاعر المعاصر، الذى يعيش مأساة الأمة. واشتملت الدراسة على سبعة أبواب هى: نشأة الشعر العربى الحديث ومراحل تطوره، فاروق جويدة وطريق إبداعه، إبداع فاروق جويدة الشعرى، إبداع فاروق جويدة المسرحى، المقومات الثقافية لإبداع فاروق جويدة، التحول الشعرى عند فاروق جويدة، تحول الشعر وأهميته. وترى

الباحثة أن شعر فاروق جويدة تخلص من العيوب التى عانى منها الشعر العربى فى ثمانينات القرن العشرين والتى منها الاهتمام الذاتى الصرف وغير المعقولية التى تؤدى إلى عدم الفهم وسوء التفسير ونحو ذلك.

وختاما أقول إن سعادتى كسفير مصر ذات الحضارة العريقة فى دولة الصين ذات الحضارة العريقة لا يعادلها شىء سوى أن أجد باحثة صينية تتخصص فى الحضارة والأدب والثقافة العربية وتقدم رسالة دكتوراه فى تحليل شعر شاعر مصرى متميز مثل فاروق جويدة وأن أكتب هذا المقال لتحية الشاعر وتهنئة الباحثة لكى يكون العمل الدبلوماسى هو كما دعوت له وعبرت عنه فى بحوثى ومؤلفاتى، حلقة الربط الحضارى بين المجتمعات والأمم والشعوب مهما بعدت المسافات، إن الدبلوماسى هو وسيلة نقل التفاعل الحضارى، وهو أداة هذا التفاعل، وإذا عجز عن ذلك يعيش على هامش المجتمع كموظف روتينى بيروقراطى، ويكتب تقريرا ليوضع فى درج موظف آخر بدلا من أن يثير اهتمام مجتمع وشعب عريق بتطورات وحضارات شعب آخر عريق.

المحتويات

الموضوع	صفحة
تقديم.....	٧
دكتور أنور عبد الملك	
عالم جديد – الصين فى مرآة أمريكا	
١ ، ٢ ، ٣ ، ٤	١١–٣٩
الأستاذ رجب البنا	
● رسالة عتاب من الصين.....	٤٣
● جسر مع الصين.....	٥٢
دكتور السيد أمين شلبى	
● الصين ومصر : خبرات مشتركة.....	٥٧
الأستاذ شوقى جلال	
● الصين والطريق الثالث.....	٧١
● معارك السلام بين مصر وإسرائيل على أرض الصين	٧٨
● مصر والصين ومعالم التآخى الحضارى.....	٨٤
السفير دكتور محمد إبراهيم شاكر	
● الصين كما شاهدتها : انطباعات زائر.....	٩٩

الموضوع	صفحة

الأستاذ محمد سيد أحمد

- قبل زيارة ثانية للصين ١١٣
- شانجهاى.. نيويورك .. والحرب ضد الإرهاب..... ١٢٠

دكتور محمد نعمان جلال

- نظرة الشعب الصينى للرئيس مبارك..... ١٢٩
- الصين بين الأدب والسياسة ١٣٣
- مصر والصين وبطرس غالـى ١٣٨
- أحمد زويل بين مصر والصين وأمريكا ١٤٥
- الأمم العظيمة والأمم الفاشلة ١٤٩
- طائرة التجسس الأمريكية.. تحليل فى إدارة الأزمة ١٥٣
- المنهج الصينى فى إدارة الأزمات الاقتصادية ١٥٩
- الدبلوماسية بين الحضارة والشعر..... ١٦٦

إشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الإشتراك السنوى:

- داخل جمهورية مصر العربية ٣٦ جنيهاً
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٥٠ دولاراً أمريكيًّا
- الدول الأجنبية ٧٥ دولاراً أمريكيًّا

تسدد قيمة الإشتراكات مقدماً نقداً أو بشيكات بإدارة الإشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء - القاهرة.

أو بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة.

اقرأ
رجب البنا
المصريون في الحراة
اقرأ
العولمة
اقرأ
مصر أنت
اقرأ
الثقافة العلمية والقيم الإنسانية
اقرأ
استثمار التخلف في ظل العولمة
اقرأ
القرصنة الوراثية
اقرأ
الأكاذيب الصيونية
اقرأ
قيم التقدم
طارق حجي
اقرأ
الاقتصاد المصري والعولمة
اقرأ
علم أصل الحضارة

صدر حديثا
اقرأ
عام الإفك والبهتان
اقرأ
العلم الحديث
الطريق إلى الله
اقرأ
اقرأ
الإسلام
والحرب الدينية
اقرأ
اقرأ
ابن عمار
اقرأ
الإسلام
وضرورة التغيير

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٦٦١٩
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6356-7

١/٢٠٠٢/٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)